

SYRIAC ACADEMY PUBLICATIONS  
BAGHDAD - IRAQ

BAR HEBRAEUS'S  
**BOOK OF THE DOVE**

TRANSLATED  
FROM SYRIAC INTO ARABIC

BY  
**Zakka Iwas**

SYRIAN ORTHODOX ARCHBISHOP OF BAGHDAD  
AND VICE - PRESIDENT OF THE SYRIAC ACADEMY

BAGHDAD  
1975



مطبعة الاديب البغدادية - هاتف ٨١٢٣٢

---



ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ

ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ  
ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ  
ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ  
ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ  
ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ ܘܠܟܠܘܢ ܕܥܘܠܡܝܢ

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

صورة الغلاف  
بريشة الاستاذ واشم سمرجي





طبعات مجمع اللغة السريانية  
بغداد

# الحمامة

مختصر في ترويض النساك

الفه بالسريانية

العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابوالفرج الميلى  
المعروف بابن العبرى مفران المشرق (+١٢٨٦م)

حققه وعربه

المطران زكا عيواص

مطران بغداد والبصرة للسريان الارثوذكس

ونائب رئيس مجمع اللغة السريانية

بغداد

١٩٧٤

تأذن في طبعه  
رمحه في ١٠/١٠/١٩٧٤

+ اغناطيوس نبطي  
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

## توبيد

بعد حمد الله تعالى نقول :

يعتبر التصوف جانباً مهماً من جوانب الثقافة السريانية العريقة ، ولوناً زاهياً من الوان الفكر السرياني الخالد ، وهو فرع من فروع علم اللاهوت ، ويطلق عليه اسم اللاهوت النسكي أو الصوفي ، أو علم كمال الحياة المسيحية . وهذا الكمال يسعى الناسك الى بلوغه عن طريق التطهر فالاستنارة ثم الاتحاد بالله . والعلامة مار غريغوريوس يوحنا ابو الفرج المعروف بأبن العبري ، هو من أشهر من طرق هذا الباب من علماء السريان .

واد علامتنا المرموق في مدينة ملطية قاعدة ارمينية الصغرى ، عام ١٢٢٦م من أبوين مسيحيين (١) ، وأحب العلم منذ نعومة اظفاره ، وشغف به ايما

---

(١) زعم بعض المستشرقين توهماً ، ان ابن العبري هو من أصل يهودي وان اياه هو الذي تنصر ، مستندين الى لفظة العبري كدليل لذلك ، والواقع انه ينحدر من أسرة مسيحية عريقة ، وكني بأبن العبري لولادة أحد آباءه أو لولادته في اثناء عبور نهر الفرات ، أو لنزوح أبيه أو جده من قرية ( عبرة ) الجائمة على نهر الفرات قرب ملطية . وكفى به دليلاً على شعور مشهور قاله هو نفسه وهذه ترجمته : « اذا كان سيدنا المسيح سمي نفسه سامرياً ، فلا غضاضة عليك ان دعوك بأبن العبري ، لأن مصدر هذه التسمية نهر الفرات ، لا ديناً معياً ولا لغة عبرية » . ( انظر ديوان شعره السرياني طبعة الراهب ( بعدئذ المطران ) يوحنا دولباني في اورشليم سنة ١٩٢٩ ص ٧١ واللؤلؤ المنشور للبطريك أفرام الاول برصوم طبعة حلب ١٩٥٦ ص ٥١٢ ، والاشيخون ترجمة المطران بولس بهنام طبعة القامشلي سنة ١٩٦٦ - المقدمة ص ٦ ، والكنيسة السريانية الانطاكية الارثوذكسية للبطريك يعقوب الثالث طبعة دمشق سنة ١٩٧٤ ص ١٣ ) .



شغف ، وأكب عليه بكل جوارحه ليل نهار ، فأتقن اللغات السريانية واليونانية والعربية ثم الفارسية والأرمنية .

وتبحر في علوم : الكتاب المقدس ، واللاهوت ، والتاريخ الكنسي والمدني ، والطب ، والهيئة ، والشرع البيعي والمدني ، والمنطق ، والبيان والنحو ، والشعر وغيرها من العلوم التي دبت يراعه فيها ستة وثلاثين كتاباً تعتبر جميعها في القمة مقاماً وأهمية .

لما بلغ ابن العبري الثامنة عشرة من عمره ، جاء وأهله الى انطاكية ، فترهب ، وفي هذه الفترة ، لا بد انه اعتزل العالم واختبر فلسفة التصوف عملياً ، وأخذ علم المعرفة الروحية ، بمطالعة الكتب النسكية ، ورسمه البطريك اغناطيوس الثالث أسقفاً لبلدة جوباس من أعمال ماطية عام ١٢٤٦م وسمي غريغوريوس ، ثم انتقل الى ابرشية لاقين فأبرشية حلب .

وفي عام ١٢٦٤م رسمه البطريك اغناطيوس يشوع مفريناً (١) على المشرق ، فدبر كرسي المفرانية اثنتين وعشرين سنة بخوف الله وحكمته ، متنقلاً بين نينوى ، ودير مار متي ، والموصل ، وبغداد ومراغة وتبريز . وأزدهرت على عهده ابرشيات المشرق الواسعة الممتدة عصرئذ من نصيبين حتى منتهى ما بين النهرين ، وفارس ، والقوقاس .

وحظي بمكانته اللائقة لدى الرؤساء ، والعلماء ، فكرموا فيه العلامة القدير ، والباحث الشهير ، والطبيب البارع ، والشاعر المبدع ، والخطيب المفوه ، بل الرئيس الروحي الورع ، والناسك الطاهر . وأدرسته المنية في مدينة مراغة (٢)

---

(١) المفران : كلمة سريانية بمعنى المتمر ، وهو أسم لصاحب رتبة كسبية عند السريان مرادقة للجائليق فهو دون البطريك وفوق الاسقف وكان كرسيه في تكريت ثم نقل الى دير مار متي فالموصل ج مفارثة ( انظر اللؤلؤ المنشور ص ٦٢٠ )

(٢) من مدن ايران اليوم تقع جنوبي تبريز

في ٣٠ تموز سنة ١٢٨٦م وهو في الستين من عمره ، ثم نقل رفاته الطاهر الى دير مار متى في جبل الألو ف الواقع شرقي مدينة الموصل .  
يروى عنه انه لم يأخذ درهماً بيده ، طيلة ايام حياته ، فعندما كان المؤمنون المحسنون يأتونه بهداياهم ، كانوا يضعونها جانباً ، وكان أحد تلامذته الرهبان يجمعها ، ثم تصرف في مشاريع تؤول الى الكنيسة بالخير .  
اعجب المستشرقون المهتمون بالدراسات السريانية بنبوغ ابن العبري وعبقريته ، فلقبوه بدائرة معارف القرن الثالث عشر .

خلف لنا ابن العبري ابحاثاً كافية ووافية في التصوف ، في شرحه وتلخيصه كتاب ايرثاوس في النسك ، وفي كتابه ( الايثيقون ) في علم الاخلاق لحسن السلوك في الدين والدنيا الذي اكثر فيه من اخبار النساك ، وسرد حكماً لهم .  
ثم في كتابه ( الحمامة ) الذي بين يديك ، ايها القاريء الكريم ، وهو مختصر في ترويض النساك ، ألفه بعد كتابته ( الايثيقون ) ، بانشاء سرياني جزل ، وأسماء ( الحمامة ) رمزاً الى الروح القدس الذي هبط على هامة السيد المسيح ، اثناء العماد ، بشبه حمامة .

ولكتاب الحمامة مخطوطات قديمة ، أقدمها مخطوطة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو المرقمة ( ١١٩٩٧ آ ) ، نسخها ابو الحسن بن ابراهيم بن يعقوب بن نختوما المعروف بأبن محرومه المارديني ، وذلك سنة ١٦٠١ يونانية = ١٢٩٠ ميلادية ، أي بعد انتقال ابن العبري الى جوار ربه بأربع سنوات فقط . وقد أذن لنا المسؤولون في المعهد المذكور آنفاً ، بنشرها بنصها وفصها ، فلهم منا اجزل الشكر والامتنان .

وقد حققنا نص هذه المخطوطة النفيسة على مخطوطة جامعة اكسفورد التي كتبت حوالي سنة ١٤٩٩م وأشرنا اليها بحرف ( أ ) كما واعتمدنا بالتحقيق على



طبعة الأب بولس ييجان التي نشرها في باريس سنة ١٨٩٨م وقد أشرنا اليها بحرف (ب) ، وعلى طبعة الأب جبرائيل قرداحي التي نشرها في روما سنة ١٨٩٨م ايضاً وقد أشرنا اليها بحرف (ق) وعلى طبعة الأب يوحنا دولباني ( المطران بعدئذ ) التي نشرها في ماردين سنة ١٩١٦م وقد اشرنا اليها بحرف (د) ، وقد اعتمد الاخير في طبعته خاصة على طبعة الأب بولس ييجان المذكورة اعلاه .

ونرانا في عصرنا هذا الزاهر ، بأمس الحاجة الى ابراز الفكر السرياني لأبناء الضاد ، لذا فقد نقلنا هذا الكتاب الى العربية ، باذلين قصارى جهدنا لتكون الترجمة واضحة مفهومة ، وقريبة من النص السرياني .

وفي مضمار سعينا هذا عثرنا على المقدمة الانكليزية التي صدر بها المستشرق ( وينسك ) ترجمته لكتاب ( الحمامة ) الى الانكليزية ، والتي نشرها في لايدن - هولندا سنة ١٩٠٩م فجاءت بحثاً مستفيضاً بموضوع النسك السرياني المسيحي ، وعلاقته بالتصوف العربي الاسلامي ، فراق لنا ان ننقل خلاصة المقدمة الى لغة الضاد الحبيبة .

هذا ونأمل ان يجد القاريء العزيز ، في هذا البحث ، متعة روحية ، وفائدة جزيلة . وما نشداننا الا الخير امام وجه الله الكريم جل وعلا .

بغداد : ١٩٧٤/٦/٦

زكا



## المقدمة

( اقتبسناها باختصار عن مقدمة الترجمة  
الانكليزية لكتاب « الحمامة » التي كتبها  
المستشرق الهولندي الشهير ( ونسنك )  
A. J. Wensinck المتوفي عام ١٩٣٩م )

يعتبر ابن العبري من أشهر علماء السريان وادبائهم ، طارت شهرته في  
الافاق ، فانتزع اعجاب القاصي والداني به ، وذاع صيته في اوربا وفجر عصر  
الاستشراق ، فنقلت كتبه الى لغاتها ، ولا غرو فمصنفاته النفيسة قد تناولت صنوف  
المعرفة ، إذ يجد فيها طلبة العلم ونهلة الحكمة ، على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم  
ما يطيب ويساغ .

تبوأ هذا الرجل العظيم رتبة دينية رفيعة في الكنيسة السريانية الارثوذكسية ،  
ناهيك عن منزلته المرموقة في المجتمع بعامة وخاصة . ولكن رتبته هذه لم تقف  
حائلاً دون التزامه جانب التصوف ، والتحلي بالفقر الاختياري . فهو في التصوف  
الشخص الفقير المتواضع الذي تسعى روحه الى الاتحاد بالله ، وقد بلغ المرحلة  
التي فيها « مايزال النور قاتماً ، والسحب دكن كثيفة » . وإن كان كاتب سيرته لم  
ينوه عن ذلك ، ولكن ابن العبري نفسه وصف هذه الحالة في كتابه « الحمامة » (١)

(١) مقدمة الأقوال الألهامية المائة التي تؤلف الباب الرابع من كتاب ( الحمامة )

بكلمات واضحة وعبارات صريحة ، فيخبرنا عما عانت نفسه من عنت وألم وعذاب من جراء النزعات المذهبية الكنسية ، وكيف انه لم يرتح الى علوم اليونان وكاد يهلك روحياً في تشعباتها المظلمة لولا عناية الله به ، حيث انقذته فعاد تدريجياً وعلى رسله ، الى كتابات النساك واخيراً الى حياة الزهد والتصوف . وكانت حصيلة ذلك ان كتب في موضوع التصوف ، فلخص أولاً تفسير كتاب ايرثاوس (١) ، ثم وضع كتاب « الايثيقون » فكتاب « الحمامة » ، وقصة حدائث العقل .

وقد كتب كتاب « الحمامة » بعد وضعه كتاب « الايثيقون » بزمن قليل ، ويرجح انه كتب هذا الاخير عام ١٢٧٨ م اي قبل انتقاله الى جوار ربه بثمانية اعوام . واعتبر بعضهم كتاب « الحمامة » تلخيصاً لكتاب « الايثيقون » ولكن هذا الرأي هزيل لا يؤبه به ، ولو ان اكثر محتويات الابواب الثلاثة الأولى من كتاب « الحمامة » قد وجد في كتاب « الايثيقون » ، الا انها باسلوب آخر .

ويخبرنا ابن العبري في مستهل عباراته الالهامية في كتاب « الحمامة » أن سبع سنوات من حياته قد اوقفها على دراسة مؤلفات النساك ، ومن ثمار ذلك ايضاً الشروحات الضافية التي تركها لنا بدراسة كتاب ايرثاوس ، وما تزال النسخة القديمة من الكتاب في المتحف البريطاني وقد خطت عام ١٢٦٨م وهي تشهد لنا على عظم تأثير ايرثاوس في التصوف الشرقي .

وقد تكون سنة ١٢٦٨ م بدء توجيه اهتمام ابن العبري الى الدراسة النسكية ، وقد يكون الدافع الى هذه الدراسة الشكوك التي ساورته في النساك ،

---

(١) قال البطريق قرياقس ( + ٨١٧ ) « ان الكتاب المنحول ايرثاوس استاذ ديونيسيوس الأريوفاغي ؟ ليس له ، وبحسبه بعضهم من وضع ابن صوديلي المتدع » . اما شابو وغيره من المستشرقين فلا يرون هذا الرأي . وقد نقل هذا الكتاب الى السريانية في القرن الخامس اجابة الى طالب اسمه فيلاس ، وفسره بأسهاب البطريق ثاودوسيوس الانطاكي ( + ٨٩٦ ) ولخص ابن العبري هذا التفسير بكتاب صغير الحجم يقع ب ١٩٠ صفحة وذلك اجابة الى طلب بعض الرهبان . ( انظر اللؤلؤ المنشور الصفحات ٢٢٥ و ٢٧٠ و ٤٢٢ و ٥٣١ )

وطرق تصوفهم ، كما ذكر في كتاب ( الحمامة ) لذلك أراد التأكد من صحة شكوكه فدرس النساك الذين ذكر الكثيرين منهم في كتاب ( الايثقون ) ، وهكذا مال الى حياة النسك . ومن للمحتمل انه كان قد بلغ سنأ لم تمكنه من تغيير اسلوب حياته والتخصص لحياة النسك . ففي كتاب ( الحمامة ) حيث يعلن انه خير للناسك ان لا يعتمد على الآخرين في أمر كسب عيشه ، بل ليعمل بيده ويعيل نفسه عليه ، كما فعل الآباء ، ويواصل كلامه المقرون بتواضع النساك فيقول : « وهنا لابد ان يعترف المؤلف بذنبه قائلاً : أعلم ولا أتعلم ؟ أكتب وييدي أحو ما كتبتة ؟ ! أعظ ولا اتعظ بما اعظ به ؟ أو ارشد وأنا اتغاوى بالخطأ ؟ ) .

وفي القول ( ٧٩ ) من اقواله الالهامية يقول : ( ان شمسي لا تزال مثلي في برج الجدي ، وان كانت بعيدة عن الجدي نحو الجنوب ، وحتى الآن لم تبلغ بدرجاتها قطبي ، فكم انا تائق مشتاق الى ان تشرق علي ، وتنفخني ولو نزرأ يسيراً من نور الجميل الحقيقي . ) . ولابد ان نلمس هنا صدق اعتراف ابن العبري ، فقد لوحظ ان كثيراً ما مارس رؤساء روحانيون حياة التقشف وهم يشغلون مناصب سامية .

في مقدمة كتاب ( الحمامة ) يشكو ابن العبري من افتقار العالم السرياني في زمانه الى معلم للنسك ، والغزالي (١) يقول ان متصوفي زمانه ( لم يحصل لهم انس بالله ) ، وان الاقطار خالية من ( شيخ يفتدي به في علمه وسيرته

---

(١) هو ابو حامد محمد الغزالي (١٠٥٨ - ١١١١ م) ولد بالقرب من طوس (خراسان) وهو متصوف شهير ، وفيلسوف ، وفقه . علم في المدرسة النظامية في بغداد ونظامية نيسابور . ثم انصرف الى الحياة الصوفية انصرافاً كاملاً . له في ذلك كتاب « احياء علوم الدين » بأربعة مجلدات في الفرائض الشرعية وايصال النفس الى ذرى محبة الله . وكتاب « المنقذ من الضلال » ورسالة بعنوان « ابها الولد » كتبها لأحد اصدقائه نصحاً له في الزهد والترغيب والترهيب .



وقد خلت البلاد منه الآن ) . ان الغزالي في كتابه ( احياء علوم الدين المجلد الاول ) وأبا طالب المكي (١) في كتابه ( قوت القلوب ، المجلد الاول في باب وصف العلم وطريقة السلف ) . ينهجان الاسلوب ذاته الذي نهجه ابن العبري . وكذلك اسحق النينوي (٢) يقول : ( بان الدخول في الاسرار النسكية نادر المنال ، وقد يحظى بنواله شخص واحد في كل جيل ) .

وعلى الرغم من تواضع ابن العبري بخبرته الروحية النسكية ، فان الاقوال المائة التي كتبها ، وهي تؤلف القسم الأهم في كتابه ( الحمامة ) ، دعاها اقوالاً الهامية . وقد وضعته في الرعيل الاول بين النساك ، كما اعطت كتاب ( الحمامة ) أهمية فاقت أهمية كتاب ( الايشقون ) .

ويظهر ان عدد هذه الاقوال قد اختير بحسب التقليد الشرقي المعروف فان اوغريس (٣) الذي تعتبر مؤلفاته واحدة من مصادر التعليم لدى ابن العبري ،

---

(١) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ويكنى ابا طالب ، كان واعظاً ومتصوفاً زاهداً صاحب رياضات عنيفة ، وهو من هل الجبل - بين بغداد وواسط - . سكن مكة فنسب اليها . وكتابه ( قوت القلوب في معاملة المحبوب ) يعد من كتب التصوف المهمة . مات ابو طالب سنة ٣٨٦ هجرية . ( انظر كتاب الوفيات لابن قنفذ القسطنطيني تحقيق عادل نويهض طبعة بيروت ١٩٧١ عن شذرات الذهب » و « تاريخ بغداد » و « لسان الميزان » و « وفيات الاعيان » .

(٢) اسحق النينوي : ولد في مقاطعة بيت قطراي ( قطر ) في الساحل الغربي من الخليج العربي في النصف الاول من القرن السابع الميلادي ، وترهب في دير بيت عابي ، وسقف على نينوى نحو سنة ٦٦٣م ثم ترك كرسيه بعد ستة أشهر مفضلاً عليه حياة الزهد والتفرغ للعبادة ، فتمسك في بيت هوزاي ، ومات طاعناً في السن في دير الربان شابور . له مؤلفات في الحياة الروحية تعد من كتب النسك المهمة جداً والتي تعود للرهبان السريان مطالعتها ( انظر اللؤلؤ المنثور ) ص ١٥٥ و ٢٦٥ و ( آداب اللغة الارامية للأب البيرابونا ، طبعة بيروت ١٩٧١ ص ٣٠١ )

(٣) اوغريس : ولد ببلدة ايورا في آسيا الصغرى سنة ٣٤٥م وتلمذ للقديسين باسيلوس الكبير وغريغوريوس النزيني ، وذهب الى مصر سنة ٣٨٣م وترهب مدة سنتين ثم قصد موضع ( القلاي ) حيث تلمذ للقديس مقاريوس الاسكندري ، وقضى الخمسة عشر سنة الباقية من حياته ناسكاً زاهداً . وتوفي حوالي سنة ٣٩٩م عرف عنه انه كان ذا ثقافة يونانية عالية ، وكان ينزل الى الاسكندرية ليفهم الفلاسفة اليونانيين ( عن بستان الرهبان طبعة مطرانية بني سويف - مصر ١٩٦٨م ص ٤٩١ )

له كتاب يحتوي على ستمائة عبارة ، وان الزمخشري (١) له ( القلائد الذهبية ) التي قوامها مائة قلادة عدأ . كما ان في الآداب العربية مجموعات اخرى تتألف كل مجموعة منها من مائة جملة .

يحتوي كل باب من الابواب الثلاثة الاولى لكتاب ( الحمامة ) على عشرة فصول ، واما الباب الرابع فهو قصة تدرج المؤلف بالعلوم ، ويليها الاقوال الالهامية المائة الأنفة الذكر . ويتضح من ذلك ان ابن العربي يحتذي حذو الغزالي في كتابه ( احياء علوم الدين ) الذي ينطوي على اربعة اقسام يضم كل واحد منها عشرة فصول .

وبين العلامتين الغزالي وابن العربي علاقة ادبية قوية وكلاهما يتفقان بوجود علم المعاملة ، وعلم المكاشفة ، وكلاهما يصرحان بوضوح انهما ينسجان على منوال القدامى السابقين ويطبعان على غرارهم .

ولا بد ان نذكر بان كتاب ( الايثيقون ) يختلف عن كتاب ( الحمامة ) في الغاية فكتاب ( الايثيقون ) مثل كتاب ( احياء علوم الدين ) قد كتب لتنظيم الحياة الادبية والروحية للانسان . والكتابان يبحثان عن حياة الانسان ، التي ليست صلاة ومحبة وحسب ، بل هي ايضاً تجارة ، وزواج ، وغذاء للجسد ، وتعليم الاطفال . اما كتاب ( الحمامة ) فهو مختص بالرهبان الذين ليس لديهم مرشد روحاني ، وهذا يظهر من تقسيم الكتاب كما يلي : الباب الاول : - تعليم

---

(١) هو ابو قاسم محمود بن عمر الزمخشري ولد في زمخش سنة (١٠٧٥م) . امام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير . كان معتزلي الاعتقاد ، شديد الانكار على المتصوفة ، اكثر من الشيع عابهم في بعض مؤلفاته . توفي سنة (١١٤٢م) له تصانيف اشهرها : (الكشاف) في تفسير القرآن الكريم . و (المفصل) في النحو ، و (الفائق) في غريب الحديث . و (اساس البلاغة) . انظر ( الوفيات ) لابن قنفذ القسطنطيني تحقيق عادل نويهض طبعة بيروت ١٩٧١ . عن ( دائرة المعارف الاسلامية ) و ( وفيات الاعيان ) و ( وشذرات الذهب ) و ( لسان الميزان ) و ( طبقات المفسرين ) .

العمل الجسدي الذي يتم في دار المبتدئين . الباب الثاني : - كيفية ممارسة  
السيرة الروحية في الصومعة . الباب الثالث : - شرح الاستقرار الروحي للحمامة  
المعزية . الباب الرابع : - قصة تدرج المؤلف بالعلوم وأقوال الهامية .

صادر المعرفة النسكية لديه :

يخبرنا ابن العبري في مقدمة الاقوال الالهامية ، بان الينبوع الذي اغترف  
منه معرفته النسكية ، هي كتب : الاب اوغريس الذي يسميه بالكبير ، وبأبي  
العارفين وكبيرهم ، كما استقى من كتاب الدرج أو السلم لأياونيس كليماكس  
رئيس دير طورسينا الرومي الملكي ( + ٦٤٩ م ) ، وتصانيف ديونيسيوس  
الاريوخاغي ، وايرثاوس الذي عثر على تفسير كتابه في التصوف سنة ( ١٢٦٨ م )  
فعلق عليه ، ولخصه ، كما مر بنا آنفاً ، وكتاب ( طريق الرهبة ) لاسحق  
النينوي ، وكتابات آباء برية الاسقيط وغيرهم . وهذا يعني انه قد ولج باب  
المعرفة الروحية دون ان يحتاج الى مرشد أو دليل ، لذلك فهو يكتب كتابه  
( الحمامة ) للشخاص الذين حالتهم تماثل الحالة التي كان هو عليها ، وهي حالة  
لا يستسيغها الناسك ، وانهم جميعاً ينصحون المبتدئين بأخذ دليل لهم عندما يرغبون  
في نهج سبيل الزهد والتقشف والتصوف ، وكما يقول المتصوفون المسلمون « من  
لا دليل له دليله ايليس » ، اما كتاب ( الحمامة ) فله مكاتبة النسكية حيث قد  
وضع ليكون دليلاً للرهبان الذين يرغبون بالنسك « وليس لهم مرشد أو كان  
هذا في منأى عنهم » لذلك يصف لهم الكتاب الطرق والمقاصد ، والتجارب  
الروحية التي قد يكون ابن العبري قد مر بها . وفيه نلمس فلسفة التصوف لدى  
ابن العبري ، والمدرسة الصوفية التي ينسب اليها . وابن العبري الناسك تبدأ  
طريقته بالزهد البسيط ، ومن ثم يشع عليه نور المعرفة الروحية من كل جانب  
فيجد نفسه اخيراً في جو صوفي يقرب احياناً من وحدة الوجود .



ان دراستنا نظام التصوف لدى ابن العربي يقودنا حتماً الى التأمل العميق بالمفهوم النسكي الشرقي المسيحي الاسلامي . وبجولتنا هذه سنقف لحظات امام أهم موضوعاته مادة ، وأدقها حساً .

### التأمل وعلم المعاملة؛

عندما يتغرب الناسك عن العالم ، ويجس نفسه في صومعة ، لا يقصد بذلك ممارسة اعمال سالحة وحسب ، بل ايضاً الوصول الى مطمح السعادة ، وهو لديه الاشتراك بالفكر الالهى والاتحاد به تعالى ، وهذا يدعى ( الكشف ) الذي يعطى من الله بالالهام ، ولا يحصل الا بالتأمل الروحي العميق ، ويسمى علم المعاملة ، ومن العبارات الروحية ، والاقوال الالهامية التي وضعها ابن العربي في كتاب ( الحمامة ) ، نعلم ان علم المعاملة لا يعني فقط ممارسة اعمال سالحة ، بل هو ايضاً بصورة اساسية ممارسة الاتصال بالله . ويقول الغزالي :- « .. ولتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي » (١) .

### أسرار التصوف ؛

يحجم العارفون نشر معظم تجاربهم النسكية التقشفية التي لا يجوز لهم ايداعها الكتب كما يروي الغزالي حيث يقول : « فاذا حصل قلبه مع الله ، انكشف له جلال الحضرة الربوبية ، وتجلي له الحق ، وظهر له من لطائف الله ما لا يجوز ان يوصف ، بل لا يحيط به الوصف اصلاً ، وأمثال هذه المعارف التي اليها الاشارة ، لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف

(١) احياء علوم الدين

له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا .  
ويشارك ابن العبري الغزالي في الرأي فيقول « . . . أما انت فانصت اليّ ولا  
تنس بينت شفة ، ولا تسألني تفسيراً وايضاحاً (١) » .

فالمتصوفون قد سمعوا ما لم تسمع به أذن ، وشاهدوا ما لم تره عين ، كما  
قال الرسول بولس عن رؤياه .

ويقول ابن العبري :- إن ( الحمامة ) « تهب نطقاً للناطفين . . كلامها  
يقرع كل اذن ولكن قليلين يستجيبون له ، تدعو كل انسان باسمه ، ولكن واحداً  
من الف يلبي نداءها (٢) » . وقال :- « أما الحياة الحقيقية فهي التي يرضع  
الكاملون لبنها من ثدي العناية الالهية مباشرة ، وليس لمعلمي الناموس ولا لكتبهم  
فيها سوى الأسم والصورة » (٣) .

## الايمان

يرى ابن العبري افضل تحديد للايمان هو قول الرسول بولس « الايمان  
هو الثقة بما يرنجى والايقان بأمور لا ترى » (٤) . ويختلف مفهوم الايمان  
لدى المتصوفين عنه لدى عامة الناس ، فيسميه ابن العبري بايمان الخيال وايمان  
الالهام (٥) ، وهذا الاخير هو أسمى درجة ومقاماً ، ولا يناله الا النساك ،  
وذلك بوساطة الاشراق من العلي بعد مشقة ، وتعب ، وطلب ، وانسحاق ،  
وزهادة . ولا يفهمه الانسان البسيط ، لذلك يقول الغزالي :

(١) القول (٨٠) من اقواله الالهامية في الباب الرابع من كتاب الحمامة

(٢) مقدمة كتاب ( الحمامة )

(٣) الحمامة الباب الرابع - القول (٦٤)

(٤) الرسالة الى العبرانيين ( ١٩ : ١ )

(٥) الحمامة الباب الرابع القول (٣٠)

« ان أهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة » (١) . ويقول ابن العبري : « من لم يرن الى داخل باب قدس اقداس السحابة يتيه في مهمة الضلال اذ يعد نفسه بين المؤمنين ولئن اعترف بلسانه وآمن بقلبه » (٢) . ويعتبر بذلك ان النساك الذين بلغوا الكمال هم ووحدهم قد نالوا ايمان الالهام حيث يذكر ما يلي : « وتنال الايمان وتعتمد بالنار والروح لا بالماء » (٣) .

### الصوم :

يعتبر ابن العبري الصوم درجات ثلاثاً : فهو صوم عام ، فصوم خاص ، فصوم خاص للغاية . اما الصوم العام فهو الانقطاع التام عن الطعام ، واما الصوم الخاص فهو الانقطاع عن الطعام مقترباً بصوم الحواس عن الحركات المسيبة لللاثم . اما الصوم الخاص للغاية ، فهو صوم الكاملين الذين يقرنون الصوم عن الطعام وصوم الحواس بصوم النفس عن الافكار الرديئة ، باستئصال كل فكر دنيوي من اعماق القلب ، ولفظه لفظ النواة ابدأ (٤) .

### الصلاة :

والصلاة هي احدى الوسائل الجبارة الموصلة الى الهدف المنشود من اعمال النساك ، الا وهو الاتحاد بالله . يحددها مار اسحق النينوي بقوله : « الصلاة هي امارة ميول الارادة من الحياة الجسدية » ويقول الأب اوغريس : « اجتهد ان تجعل عقلك في الصلاة اصم لا ينطق ، وهكذا يمكنك ان تصلي » .

(١) الحماسة - القول (٦٨) .

(٢) الحماسة الباب الرابع القول (١٧)

(٣) فيه القول (١٩)

(٤) فيه الباب الثاني الفصل السادس



ويتساءل ابن العبري قائلاً : « كيف يحاول الفكر ان يخاطب بالصلاة ذلك المتعالي عن كل حس دون ان يجمع من التشتيت » انه ولئن يصعب على المرء جمع شتات الفكر باديء بدء ، ولكن بعد التدريب الصحيح ، وتذوق حلاوة الصلاة ، يسهل خزنه في اهرام القلب ، فيخاطب ربه بصورة عجيبة (١) .

### الحج المقدس.

ان نظرية النساك بالحج يوضحها ابن العبري في موضوع الغربية ، حيث يقول : « استأذن تلميذ من شيخه للذهاب الى اورشليم ، فاجابه : انك تضل يا هذا ، فالجميع يحاولون الصعود الى اورشليم السماوية ، اما انت فالى اورشليم الارضية ، وقد قال السيد المسيح « انه تأتي ساعة ، لا في هذا الجبل ، ولا في اورشليم تسجدون للاب . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » (٢) فأمكث اذن في صومعتك ، واجتهد ان ترى في داخلك من هو قريب من كل انسان (٣) . وهذه النظرية اساس في التصوف ، ونجدها ايضاً لدى القشيري (٤) حيث يذكر قول محمد بن الفادي القائل : اعجب من اولئك الذين يبحثون عن هيكل الله في هذه الدنيا ، لماذا لا يبحثون عنه في قلوبهم بالصلاة والاستغراق بالتأمل الروحي . . . اذا كانوا ملزمين لزيارة حجرة مرة واحدة في السنة ، فبالتأكيد انهم اكثر التزاماً لزيارة معبد القلب حيث يمكن رؤياه ثلاثمائة وستين مرة نهاراً وليلاً . . . » .

---

(١) الحماسة - الباب الثاني - الفصل الرابع

(٢) انجيل يوحنا (٤ : ٢١ و ٢٤)

(٣) الحماسة الباب الثاني الفصل الثامن

(٤) هو ابو القاسم القشيري ، فقيه ومتصوف أصله من ناحية استوا من العرب الذين قدموا خراسان ، توفي ابوه وهو صغير فحضر الى نيسابور ، وبها نشأ وتعلم ومات سنة ١٠٧٤م اتبع الاشعريين في التصوف . له تصانيف : ( الرسالة القشيرية ) و ( التسير في علم التفسير ) و ( لطائف الاشارات ) . انظر ( الوفيات ص ٢٥٢ ) و ( وفيات الاعيان ) و ( شذرات الذهب ) و ( تاريخ بغداد ) .

## معرفة الله:

البون شاسع بين معرفة العامة لله ومعرفة النساك له . ويشرح ابن العبري ذلك حيث يقول « ان عامة الناس يستدلون على وجود الخالق من مخلوقاته اما العلماء ، فلديهم معرفة افضل يحصلون عليها بنقاء الافكار ، واضعاف الجسد ، واغلاق نوافذ الحواس ، وتحطيم القيود ، فاذا ما استنار مخدع قلبهم بهذه المعرفة ، فانه يتصور ملكوت الله فيه ، ويكون هذا الملكوت داخلهم ، وحينئذ لا يحتاجون الى ان يطلبوه في « هذا الجبل أو في اورشليم (١) » .

اذا كان المؤمن مقتنعاً بوجود العالم الثاني ، فالأفضل له ان لا يألوا جهداً للحصول عليه . اما الناسك فعليه ان يطمح للحصول على الله وحده ، لذلك نجد ابن العبري ينصح لطالب النساك ، قائلاً : « نقِ مرآة عقلك من الادناس فترك اشكال المملكتين والسبل المؤدية الى السماء ، وهي ايضاً توصلك الى الله » (٢) . ويقول ايضاً « ان كنت تهتم بالاطلاع على الاسرار الخفية ، ابغض العالمين ( الارضي والسماوي ) » ودع الموتى يدفنون موتاهم « (٣) ، واطلب الحي السرمدي وحده ، واذا ما تعبت في طلبه الى الابد فستحيا الى ابد الابد (٤) فبناء على ذلك فالجنة وسعادتها ليست موضع طموح الناسك ، وأمله ورجائه ، انما الله الواحد القيوم وحده هو ضالته الوحيدة المنشودة .

لا يعتبر ابن العبري التأمل نقياً خالصاً ما لم يكن الهدف المنشود منه الله تعالى . ويصرح بان الرغبة في مسرات الفردوس انما تنشأ عن التفكير المضطرب .

(١) الحماة - الباب الرابع - القولان (٧٣ و٧٤)

(٢) فيه القول (٥٨)

(٣) انجيل متى ( ٨ : ٢٢ )

(٤) الحماة الباب الرابع القول (٨٣)

وهو يقسم الزهاد بالنسبة الى هدفهم المنشود الى : ( درجات ثلاث : سفلى ،  
ووسطى ، وعليا . فالسفلى هي درجة الذين يزهدون عن اللذة خوفاً من العذاب  
العتيد . واما الوسطى فهي درجة الذين يرفضون اللذة الزمنية طمعاً في نعيم  
الفردوس ، اما العليا فهي درجة الذين مطلبهم هو الرب الصالح وحده ،  
ولذلك يشيخون بوجوههم عما سواه . ويكيل العلماء المدح لهذه الغاية . ) (١).  
وللغزالي الرأي نفسه حيث يقول : ( من لا يرغب بأي شيء سوى الله ، حتى  
لا يرغب بالفردوس ، متجنباً محبة أي شيء يبعده عن الله ، فهو المتسك  
الكامل ) وقال ايضاً : - ( لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم  
الدار فينت انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة ) (٢) .  
ويتبع القشيري ايضاً الرأي نفسه حيث يقول : « علامة العارف ان يكون فارغاً  
من الدنيا والآخرة » .

فمفهوم هذا النوع من الزهد بالدنيا والآخرة ، لدى ابن العبري ، نسميه  
( بالثابت ) ؛ الذي لا سبيل للشك فيه وطبيعة هذا الزهد بالذات تظهر ايضاً  
في اولئك الذين تخطوا مراحل النسك الاولى وبلغوا قمة الحالة الروحية ويسمى  
كل منهم ( بالعارف ) ، وتسمى حالتهم المعرفة الروحية ، والعارف كما يعرفه  
اوغريس « هو بمثابة الملح للنجسين ونور للانقياء » ويعتبر ابن العبري معلمي  
الكنيسة وفلاسفتها ولاهوتيين ادنى منزلة من الانبياء والعارفين ، لأن مصدر  
معرفة هؤلاء انما هو الوحي ، وهو معرفة من نوع نبوي .

كثيراً ما يسمى النسك بالمعرفة الروحية ، وتطلق صفة ( العارف ) على  
من بلغ الدرجة العليا في سلمه . ويسمى ابن العبري كتب النسك بكتب المعرفة

(١) الحماة الباب الاول الفصل الثالث

(٢) احيا علوم الدين الجزء الرابع



الروحية . ويقول : - « فكم انا تائق مشتاق الى ان تشرق علي ( شمسي )  
وتنفحني ولو نزرأ يسيراً من نور الجميل الحقيقي . لكي لا اسجد بعد الآن لمن  
لا اعرفه بل اسجد بالروح والحق لمن اعرفه » (١) ويقول ايضاً في موضوع لذة  
المعرفة ما يلي : - « ان اللذة التي تنتج عن معرفة رب الكائنات والهها تفوق  
كل اللذات » (٢) ويقول ابن عطاء الله (٣) : - « ان معرفة الله هي غاية  
المطلوب » ويقول الغزالي : « ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله  
وصفاته وملائكته وملكوته السموات والارض ، فلا ينبغي ان تشك في ان  
الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات  
هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيها » (٤) .

وهذه المعرفة هي ليست من النوع الفكري أي انها تسمو عن معرفتنا  
للأشياء المادية التي تقع تحت حواسنا ، ولذلك يطلق عليها اللاهوتيون والنسك  
صفة ( الالهام ) ويسمونها ( علم الله ) ، والصفة غير الفكرية لمعرفة الله . وهذه  
هي التي جعلت ابن العبري ناسكاً صوفياً لا يهتم بامر الخلافات العقائدية ويرفض  
المباحكات اللاهوتية ، وهو هو ذلك اللاهوتي القدير الذي وضع الموسوعة اللاهوتية  
الموسومة بـ ( منارة الاقداس ) ومختصراً في اللاهوت باسم ( الاشعة ) . فرأيه ناسكاً  
بذكره في مقدمة الاقوال الالهامية المئة مرشداً النسك كافة ، وقد ورثوا عن  
أجدادهم دستور الايمان النيقاوي ، ان يتمسكوا بهذا الدستور ، دون الدخول  
بالمباحكات والمجادلات التي لا طائل تحتها . وفي موضع آخر يحذر الذين يحاولون

(١) الحماسة - الباب الرابع القول (٧٩)

(٢) فيه الباب الثالث الفصل السادس

(٣) ابن عطاء الله الاسكندري الشاذلي من اشهر صوفي زمانه ، الف كتاباً في التصوف بأسم ( الحكم العطائية )

وله ( تاج العروس وقمع النفوس ) في التصوف ايضاً . توفي في القاهرة سنة ( ١٣٠٩ م )

(٤) احياء علوم الدين الجزء الرابع

فهم الله بالقياس المنطقي بقوله « تعود ان تصدق كل ما تسمعه من انسان صادق بكلامه ، ولا تبحث عن أصل الكلام بالمقايسة ، وان كنت لا تعرف حقيقته ، وبهذا الأمر يكون الايمان صالحاً لان يبطل فعل السموم وذلك بوساطة الفارقليط روح الحق ويذكرك بكل الامور ويعلمك اياها ) وقال أيضاً ( اذا ما أرحت عقلك من درس الابحاث العويصة المقترنة بالتعقيدات القياسية ، والتزمت حياة الهدوء والصمت مع ممارسة أعمال الاستقامة فاصطبر ولا تمل الدأب في سيرك لعل شمسك تشرق ومساءك يضيء ويكشف لك عن جمالك ويحررك من عبودية الزمان والمكان ) (١) ويقول أيضاً ( ان الله هو ضابط الكل فكيف يحصره العقل ؟ بينما الشيء القابل للحصر ( ذاته ) لا يمكنه ان يضبط الا جزءاً من الحاصر لا كله ) . ( ما دمت تروم ان تعرف الله بوساطة الأدلة والبراهين والشهادات ، فانت تضرب على حديد بارد ، وليس فيك بعد من الايمان بقدر حبة خروال ) (٢) .

ولا يقف ابن العبري عند هذا القدر في تعريف المعرفة بل يتعداها الى محبة الله التي يعتبرها نتيجة حتمية للمعرفة فيقول : - « ان معرفة الله سبب محبته وبالنسبة الى زيادة هذه المعرفة ونقصانها تزيد أو تنقص هذه المحبة » (٣) ويقول الغزالي : - « السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله واتساعها ، واستيلاؤها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش ، ثم يتولد من هذا البذر

---

(١) الحماة الباب الرابع القولان ( ٩٠ و ٩٥ )

(٢) فيه القولان ( ٩ و ١٠ ) .

شجرة المحبة والمعرفة ) ويقول أيضاً : ( والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة . لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه . . فمن عرف الله تعالى أحبه » (١) وهنا يظهر لنا ابن العبري والغزالي ، وقد اتحدت أفكارهما في الاساس بالتصوف ، يعتمدان على المعرفة التقليدية القديمة ، فقد سبق اوغريس وربط المحبة بالمعرفة ، كما ان اسحق النينوي يقول « المحبة أحلى من الحياة ، ومعرفة الله التي منها ولدت المحبة هي أحلى من شهد العسل .. ان المحبة هي بنت المعرفة ) . ان الغاية التي ينشدها النساك من المعرفة الروحية والمحبة هي واحدة ، حيث ان كليهما متلازمان ، فالمحبة نتيجة مباشرة للمعرفة ، والمعرفة أم المحبة .

## الادراك:

والآن أمامنا نوع آخر من التعبير عن الحالة التي قد يصل اليها الناسك في معرفة المواهب الروحية الا وهو ادراك الله تعالى نفسه ، وهذه الحالة هي المرحلة النهائية والغاية القصوى في سعيه .

يقول ابن العبري ( يجب ان تكون السكنى في الصومعة بادراك وتميز ، لا عن تقليد كما يفعل الكثيرون بمن يجسسون أنفسهم دون ما غاية يضمرونها في قرارة نفوسهم أو هدف يضعونه نصب أعينهم يصوبون اليه سهام مشقة طريقهم ، وهذا الهدف هو انتظار موهبة انارة العقل تأتيهم من الرب ، وقابلية مشاهدة الروحانيين بطبيعتهم ، ومعاشرتهم ) (٢) .

ويذكر ابن العبري : « ان هذه الأمور تحدث في المرحلة الوسطى من المحبة وان قبول الالهام يجاري أدراك الأمور الروحية » (٣) . أما الفرق ما بين

---

(١) احياء علوم الدين الجزء الرابع . (٢) فيه

(٢) الحمامة الباب الثاني الفصل الاول .

(٣) الايثقون المقالة الرابعة الباب الرابع عشر الفصل الثالث عشر .



المبتدئ وغير المبتدئ فيما يخص هذه الامور الروحية ، فهو كالفرق ما بين رؤية الشيء والسمع عنه . وهذا واضح أيضاً من قول ابن العبري القائل ( يرفض بعض المعلمين المتبحرين بعلوم الكتاب المقدس وتفسيره ، ان يتعلموا السير في طريق الملكوت على يد عارفين غير متضلعين بفنونهم ، بيد أن هؤلاء المعلمين لا يسلمون ولا يفقهون كون معرفتهم ، وان كانوا متضلعين بها ، إن هي الا معرفة نقلية ، وأما معرفة العارفين ، وان كانوا بسطاء فهي معرفة اختبارية ) (١) وفي ختام كتاب ( الحمامة ) يصرح ابن العبري قائلاً : ( ان هذه الفصول انما تفيد من كان خبيراً بمعرفة الأمور الالهية والبشرية معاً ، وهو يتوق ان يرى عن طريق الاعلانات كل ما فهمه بالعلم ، ولكن من ليس له هذه الرغبة فليضاعف دراسته لهذا الكتاب لا بالقراءة المضطربة ( المشوشة ) بل عن ادراك واتباه ) (٢) . هذا القول يأتي بنا ثانية الى موضوع الادراك انه هنا يعطي وصفاً مختصراً عنه ورأي النساك أنفسهم فيه . ويشير مار أسحق النينوي الى ذلك مراراً عديدة فيقول : ( عن طريق هدوء التصورات ترتفع الروح الى نقاء الفكر . وبالفكر النقي يصل الانسان الى رؤية الأمور الخفية ، ان التأمل في الالهيات ، هو الرؤية ( الحقيقية ) . ويقول أيضاً ( تعرف ملكوت السماء بالتأمل الروحي ) كما ان تعريف اوغريس للتأمل الروحي مطابق لذلك حيث يقول : ( انه معرفة روحية لكل ما كان وما سيكون . وهذه المعرفة تثقف العقل وتقر به الى كمال الصورة التي خلق عليها ) . وهذا الرأي يأخذ به الغزالي أيضاً حيث يورد بيتاً من الشعر العربي لمتصوف يقايس الفرق ما بين المعرفة العادية البسيطة الصادرة عن السمع ومعرفة النساك الناتجة عن المشاهدة فيقول :

(١) الايثيقون المقالة الرابعة الباب الخامس عشر الفصل الثالث عشر

(٢) الحمامة الباب الرابع القول (٩٨) .

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طاعة الشمس ما يُغنيك عن زحل  
وهنا يسوقنا البحث الى علم المكاشفة الذي يعتبره الغزالي ، الرؤية السامية  
غير المسموح التكلم عنها ويقول : ( فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى  
تتضح له جلية الحق في هذه الأمور ، اتضحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك  
فيه ) . أما أبو طالب المكي أحد أسلاف الغزالي فقد ميز ما بين معرفة السمع  
والرؤيا بقوله : ( ان المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان . فأثبت الرؤية  
للقلب بالعين ، فرؤية القلب هو اليقين . . فاذا كشف غطاء العين ، شهدت  
معاني الصفات بانوارها وهو مزيد نور اليقين الذي هو كمال الايمان ) .

## رؤية الله

ان رؤية الأمور الروحية تؤدي الى رؤية الله ، ورؤية الله هي غاية التدريب  
النسكي الصوفي وذروته ، وتأتي عن طريق الالهام . وهو وحي بما هو خاص  
بالله . والغاية منه رؤية الله ، لأن المعرفة الروحية هي محبة الله ومشاهدته ،  
وهذه تكتسب بالتعمق في العلم الدقيق ، علم تطهير الضمير ، الذي غايته رؤية  
الله . ويقول ابن العبري : « اذا كانت رؤية الله تنيل الحياة الحقة ، فعدم رؤيته  
تنتج الموت المرير » (١) . ويقول ايضاً « تحصل رؤية الله باغماض الحواس وفتح  
كوى القلب وكشف الحجاب عن اعين الضمير ، وهذا هو ما قيل عنه  
« سد النوافذ ليستنير المنزل » (٢) ان المشاهدة يمكن ان تحدث في المرحلة  
العليا لمناجاة الله ، ويدعو ابن العبري ذلك « بالسحابة » ، اسوة بسائر النساك  
فيقول « يحصل العقل ، في داخل السحابة ، برؤية الجميل ، على لذة لا توصف .  
وقد يحصل على هذه اللذة خارجاً عن السحابة ، ولكنها تكون لذة السامع عن

(١) الايثيقون المقالة الأولى الباب الثاني الفصل الثامن

(٢) الحماسة - القول (١١)

جمال الجميل لا الناظر اليه . « (١) . وهنا يبرز ثانية الفرق ما بين الرؤية والسمع ، ونجد ذلك واضحاً لدى ابن العبري ايضاً حيث يقول : « كما ان الخفاش لا يرى الشمس ابدأ اما الانسان وان شاهد نورها بحسه البصري فلا يراها كما هي ، وهكذا ايضاً المتأمل في الالهيات انما يسمع عن العلي غير المحدود ولكنه لا يراه . والعارف يرى جزءاً من اجماد العلي غير المحدودة لا كلها » (٢)

### الرؤية والموت :

ان مسألة رؤية الله ، أمر خطير لا يمكن شرحه دائماً بالصيغة ذاتها . لذلك يقول ابن العبري : - « انه من الخطأ القول بان العقل عندما يتحرر من عبودية الجسد يرى الله العلي المسجود له ، كما هو » (٣) ويقول ايضاً : - « ان الرؤية الحقيقية لله تكون بعد مغادرة هذه الحياة فعلى الناسك ان يتشبه بالرسول بولس الذي كان مشتاقاً للرحيل ليكون مع المسيح » (٤) ويذكر ابن العبري في موضع ثان ما يلي : « على حد قول الله لموسى لا يمكنك ان ترى وجهي لأنه لا يراني حي ويعيش ، أي بعد ان تتخلص من الجسد فحيثذ تراني » (٥) . ويبحث الغزالي عن رؤية الله فيدعوها رؤية وجه الله ، ويصرح بان مسرات الفردوس ليست هدف المتصوفين الحقيقيين ، اذ هم : « ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات » .

(٢) فيه القول (١٥)

(١) الحماية القول (٨٩) .

(٢) فيه القول (٨٨) .

(٣) الايثيقون المقالة الرابعة الباب الخامس عشر الفصل العاشر .

(٤) فيه المقالة الرابعة الباب الخامس عشر الفصل الخامس .

(٥) احيا علم الدين .



ان آراء الغزالي وابن العبري وغيرهما من المتصوفين ، وجدت عند عدة مؤلفين من النساك المسيحيين والمسلمين معاً ، فالقشيري مثلاً يجيب على السؤال بقوله : « فان قيل هل تجوز رؤية الله بالابصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه ان الاقوى فيه انه لا يجوز لحصول الاجماع عليه » . وان ابن عطاء الله يفكر كالغزالي وابن العبري قائلاً : « ومن اعلام المحبة حب لقاء الحبيب على العيان ، والكشف في دار السلام ، ومحل القرب ، واتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم » . فالمتصوفون يرون ايجاد الله في هذا العالم ، ولكن سيرونه بعدئذ وجهاً لوجه في العالم الآتي .

#### الرؤية في الأديان السماوية :

يجب ان لا يغيب عن بالنا بان السؤال المهم عما اذا كان بإمكان الانسان رؤية الله هنا أو في العالم الآتي ، له تاريخ ضمن الأديان السامية ، فقد جاء في سفر الخروج ان موسى قبل مغادرته سينا ، أبدى رغبته بمشاهدة الله ، فجاهه الجواب « لا تقدر ان ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش » وبينما كان موسى هناك اجتاز مجد الرب امامه فنظر وراه واما وجهه فلم ير (١) . وجاء في سفر الخروج ايضاً : « ثم صعد موسى وهرون وناداب وايهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا اله اسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة . ولكنه لم يمد يده الى اشراف بني اسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٢) وجاء في سفر العدد قول الرب لهرون ومريم : فقال اسمعا كلامي ، ان كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكلمه ، واما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين

(١) سفر الخروج ( ٢٠ : ٣٣ ) .

(٢) سفر الخروج ( ١١ - ٩ : ٢٤ ) .

في كل بيتي فمأ لقم وعياناً أتكلم معه لا بالالغاز . وشبه الرب يعاين « (١) »  
وقال اشعيا النبي « رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ  
الهيكل » (٢)

اما في المسيحية فقد قال السيد المسيح « انا في الآب والآب فيّ »  
و « الذي رأيته فقد رأى الآب » (٣) ووعد المؤمنين به ان يكونوا معه في  
الفردوس ، وانه سيشرب مع رسله من نتاج الكرمة (٤) . ويقول الرسول  
بولس « فاننا ننظر الآن في مرآة في لغز ولكن حينئذ وجهاً لوجه ، الآن اعرف  
بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت » (٥) .

أما في الاسلام ، فقد قال البخاري « ان الناس قالوا يارسول الله : هل  
نرى ربنا يوم القيامة ، قال : هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه  
سحاب ؟ قالوا لا يارسول الله ، قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها  
سحابة ؟ قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة » (٦) .

### الجسد والنفس :

يطلق المتصوفون على النفس اسماء عديدة فيسمونها الروح ، والعقل ،  
والقلب (٧) ، ويوضح ابن العربي نظرة التصوف الى علاقة الجسد بالنفس  
فيقول : « النفس في الجسد كأنها أسيرة في خيمة مغلقة ، وكما ان الخيمة تهب

(١) سفر العدد (١٢ : ٦)

(٢) سفر اشعيا ( ١ : ٦ )

(٣) انجيل يوحنا ( ١٤ : ٨ - ١٢ )

(٤) انجيل متى ( ٢٦ : ٢٩ )

(٥) الرسالة الاولى الى كورنثوس ( ١٣ : ١٢ )

(٦) مواقيت الصلاة

(٧) الايشيقون المقالة الثالثة الباب الاول الفصل الاول

عليها ريح عاصفة احياناً فتمزقها ، ويظهر كل ما فيها وما يحيط بها بوضوح وجلاء ، وتارة يطغى عليها الزمن فتفتح مسامها ويظهر سداها ولحمتها فيتسرب اليها النور ولكن بطريقة ضئيلة ، وأحياناً وان لم تتمزق ولم تفتح مسامها الا ان الساكن فيها يفتح له كوة وينظر الى الخارج ، هكذا الانبياء والرسل بهبوب الروح القدس عليهم تمزقت خيمة اجسامهم أمام النفس العاقلة ، والزهاد بواسطة رقة اجسادهم وشفوفها تتجدد فيهم الروح المستقيمة ، والفلاسفة تفتحت امامهم كوى النفس بالاقيسة المنطقية المدركة للمواضيع ، وملافة الكنيسة بتفتح كوى العقل وترويض الجسد انبلجت امامهم انوار معرفة العالم الروحي الحقيقي « (١) ويسمي ابن العبري الجسد « مطية النفس » (٢) و « حذاء النفس » (٣) و « موضع عبوديتها » (٤) وان شئت فقل سجنها .

### الطهارة:

الطهارة لدى ابن العبري هي : « ان يتسامى الانسان ويستغرق في معرفة الله ليستضيء بها ويتوهج بعد تطهير القلب من الالهواء الرديئة ، لان معرفة الله في النفس النقية تشبه الزرع الجيد الذي يلقي في أرض صالحة ومن زرع المعرفة هذا تنبت المحبة وتنمو » (٥) . ويقول أيضاً : « لدى العلماء معرفة أخرى أفضل يحصل عليها ببقاء الافكار ، واضعاف الجسد ، واغلاق نوافذ الحواس وتحطيم القيود » (٦) ويقول أيضاً : - « اعلم ان القلب لا يتنقى بسهولة ، بل بجهد

---

(١) الايشيقون ، المقالة الثالثة الباب الاول الفصل التاسع

(٢) الحماسة الباب الرابع القول (٧٠)

(٣) فيه القول (١٤)

(٤) فيه القول (٨٨) .

(٥) الايشيقون المقالة الرابعة الباب الخامس عشر الفصل السادس

(٦) الحماسة ، الباب الرابع ، القول (٧٤)



عظيم ، وجهاد شاق ليستأصل الشر من النفس « (١) ويقول أبو طالب المكي :  
« وصفاء القلب يرفعه مقامات في مشاهدة العين حتى لا يخطر بقلبه إلا خاطر  
حق . . » .

### سبيل التقشف :

ان تمارين التقشف يحصرها ابن العبري باربعة أمور هامة هي : « الخلوة ،  
والصمت ، والجوع ، والسهر . ففي الخلوة تتلاشى كل النزوات المقلقة ، وبالصمت  
تموت عن ذاكرته كل الاحاديث الباطلة ، وبالجوع يتطهر العقل ، وبالسهر تزول  
كل الاوضار التي تحجب بصيرة النفس . فاذا نال الراهب هذه الفضائل كلها  
سار في طريق ربه وتعلقت أبصاره في اللانهاية منتظراً العون والايده من لدن الله ،  
فان أستمر بذلك يستسلم لقول النبي ارميا : « أما انا فلم أعتزل عن ان أكون  
راعياً وراءك » (٢) . « (٣) .

كل هذه التمارين التقشفية النسكية كثيراً ما ترد أو تظهر رمزياً بالعبارة  
التي يذكرها ابن العبري وهي « سد النوافذ ليستنير المنزل » (٤) .

### الانارة :

انارة باطن الانسان هي ثمرة التصوف ، وان الهدف من ملازمة الصومعة  
انما هو انتظار عطية الله الا وهي انارة العقل وقابلية رؤية الامور الروحية في  
طبيعتها . ويقول اسحق النينوي : « اذا اندفعت بنفسك نحو ممارسة الصلاة التي

---

(١) الايشيقون المقالة الثالثة الباب الثاني الفصل الرابع .

(٢) نبوة ارميا ( ١٧ : ١٦ )

(٣) الايشيقون المقالة الثالثة الباب الثاني الفصل التاسع .

(٤) الحماسة الباب الرابع - القول (١١)

تجعل الفكر مشرقاً ، وتواصل السهر للحصول على عقل نير ، عليك ان تخفى نفسك عن رؤية أمور العالم وتلزمها بالصمت مطلقاً .

ويعتبر الغزالي الصوم والسهر وسيلتين للباوغ الى اناة القلب . ويدعو الانارة « النور الباطن » و « نور البصيرة » و « تنوير القلب واشراقه » ويقول « ونور العلم اذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء » (١) . ويقول ابن العبري « لدى العلماء معرفة أخرى أفضل ، يحصل عليها بقاء الافكار ، واضعاف الجسد ، واغلاق نوافذ الحواس ، وتحطيم القيود فاذا ما استتار مخدع قلبهم بهذه المعرفة ، يتصور ملكوت الله فيه ويكون هذا الملكوت داخلهم ، وحينئذ لا يحتاجون الى ان يطلبوه في « هذا الجبل أو في اورشليم » (٢) .

الله نور؛

هنا وصلنا الى فكرة أخرى مهمة لدى المتصوفين الا وهي ايمانهم على سبيل التشبيه البليغ « ان الله نور » . وهذه الفكرة واسعة الانتشار في الاديان ، فكثيراً ما نجد في المزامير تعابير عن « يهوه اله النور » ، « ووجه يهوه المشرق المنير » (٣) وفي العهد الجديد سمي السيد المسيح نفسه نور العالم (٤) وافراهاط السرياني (٥) يدعو الله « نوراً من نور » ، كما نجد لدى المتصوفين فكرة انارة القلب فيقول ابن عطاء الله « انت الذي أشرقت الأنوار في قلوب اوليائك

(١) احيا علوم الدين .

(٢) الحماسة - الباب الرابع القول (٧٤)

(٣) سفر المزامير ( ٦: ٤ و ٣: ٤٤ و ١٥: ٨٩ و ١: ٢٧ و ٩: ٢٦ و ٣: ٤٣ و ١٣: ٥٦ و ٢: ١٠٤ )

(٤) انجيل يوحنا ( ١٢: ٨ و ٥: ٩ و ٧: ١ و ٩: ٣ و ٣٥: ١٢ )

(٥) ولد افراهاط مجوسياً في بعض بلاد فارس وتنصر وترهب وتميز بالورع وأمن في درس الكتاب المقدس فألف

بين سنة ٣٣٧-٣٤٦ كتاباً كبيراً أسماه ( البيئات ) حوى ٢٣ مقالة في الايمان والمحبة والصوم والصلاة والرهبان

وغيرها . ( انظر اللؤلؤ المنشور ص ٢٤٢ ) .

حتى عرفوك . . ولدى أبي طالب تعبير يقول فيه « نور شعاع وجه الذات . » .  
وذلك النور الذي به يستنير المتصوفون انه نور السماء . ويقول ابن عطاء الله  
« نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب » .  
ولا بد ان نذكر ان الاهمية التي أعطيت للنور اعطيت للنار أيضاً ، وان  
النور ، والنار ، والانارة أو الاشتعال بالنار ، هي تعابير متبادلة واردة في ادب المتصوفين .

المظهر الجسدي للضمور الروحي:

عقد ابن العبري فصلاً في كتاب الايثيقون بعنوان « الفرحة الحاصل للكاملين  
وقت الصلاة » ، يظهر منه انه مطابق تماماً لما قد كتبه قبله اسحق النينوي ،  
قال ابن العبري : « يحدثنا العارفون عن الفرحة الذي تولده النعمة في القلب  
الظاهر ابان الصلاة ، وما يرافقه من الرؤى والمواهب العظيمة ، ان الانسان  
لا يمكنه وصف هذا الفرحة ، فتجده أحياناً ينبع من القلب عفواً بدون ما سبب  
واضح ، يثيره الروح ، فيسقط ذلك الانسان أرضاً مصعوقاً ، أو هو بحكم  
المصعوق ، فاذا رأى أحدهم هذا الناسك الكامل ، أو سمع صوته يخاله مموساً .  
وأحياناً يرتمي الناسك جاثياً على ركبتيه اثناء الصلاة ، ويداه ممدوتان نحو السماء  
وعيناه تتطلعان بالصليب وكل افكاره متعلقة بالله ، وهو يصلي ، فيشعر في تلك  
اللحظة ان لذة روحية لا توصف تنبع في قلبه ، فترتعش جوارحه ، وتخضع عيناه ،  
ويلتصق وجهه بالأرض ، وتزدحم أفكاره ، ولا تستطيع ركبته الوقوف على الأرض ،  
تجاه تيار النعمة التي غشيت قلبه . . تأمل ايها الانسان بما تقرأ ، هل يمكن  
ادراك هذه الحال بمجرد قراءة هذه السطور ؟ وهل بمجرد القراءة تصل حلاوة  
الشهد الى فم القاريء ؟ فاذا لم تجاهد لن تجد ، وان لم تقرع بحرارة وتسهر  
بالصلاة أمام الباب طويلاً لن تجاب » (١) .

(١) الايثيقون المقالة الاولى الباب الاول الفصل الخامس



أما حالة المتصوف في المرحلة الثانية للمحبة فيصفها ابن العربي قائلاً :  
« تحدث للعارف حالة الاختطاف خاصة في وقت الصلاة ، وهذه الحالة العجيبة  
تقطع الصلاة مرات عديدة . فلا يعي العارف ، فتتمذب روحه بين الميول الثائرة ،  
ويزداد سعي محبة ربه في قلبه كالنار في الاتون المتقد سبعة أضعاف ، وتضطرم  
نفسه وينهدّ حياها . ويسقط أرضاً مغشياً عليه ثم ينهض ويستعد لرؤية جديدة فلا  
تنقطع عنه ، بل تظهر له مُدداً اطول فأطول ، يوماً بعد يوم ، ويتألف العقل  
في رؤية الخفايا الالهية ، ويتسامى رويداً رويداً ، الى معرفة أسرار الالهية (١) .

أما في كتاب الحمامة فيصف ابن العربي هذه الحالة قائلاً : « حدثني  
أحد العارفين الطوباويين ، قال : عندما كنت مبتدئاً تراءى امامي النور الذي  
يستحيل الدنو اليه ، فارتعشت مفاصلي ، وسها عني العقل ، وبت اشابه من ركب  
فحلاً هائجاً يجري بأقصى طاقته ، ولا يعلم راكبه ما اذا كان يطير في الفضاء  
بالجسد أم انه يحلق دونه ، ولكن متى هدأ الفحل من هيجانه رجع الي عقلي ،  
وثاب الي رشدي ، وأخذ لساني يلجلج ويقول : لقد صار ما صار ولا أقول ما  
صار ، اما انت فأنصت الي ولا تنبس بينت شفاه ، ولا تسألني تفسيراً  
وايضاحاً ! .. وحدثني هذا العارف نفسه ايضاً قائلاً : عندما اشتد حيلي ،  
ازداد في داخلي لهيب محبتي لسيدي ، المحبة التي كم من مرة حالت دون اتمام  
خدمتي ، انما كنت اسقط على وجهي أرضاً ، واشابه الاموات ، ويكاد جسدي  
يحترق وتنهداتي تتزايد ، وقلبي يناجيني قائلاً : وحتّامَ هذا البكاء ومجاهدة النفس  
حتّامه ؟ ! وماذا ينفع ذكر المحبوب اذا كان المحب حبيس قفص الفراق ؟ (٢) .

(١) الايثقون المقالة الرابعة ، الباب الخامس عشر .

(٢) الحمامة - الباب الرابع - القولان ( ٨٠ و ٨١ )

عندما يستهدف الكامل الى حالة الانخراط يشتعل كما بنار من أخصر قدمه حتى قمة رأسه ، ويتوهج جسده مثل الحديد أحمرته النار ، فان بلاديوس الطوباوي ( + ٤٢٥ ) يقول عن الأب ارسانيوس ( + ٢٤٥ ) انه بينما وقف يصلي في صومعته رآه أحد الاخوة من النافذة ، وكأنه تماماً عمود نار .

وتوصف حال كهذه بالسكّر ، كما يصفها اسحق النينوي بقوله : « والعقل يتيه بالعجب وينسى الناسك موضوع طلبته ، وتغمر حركاته في سكر عميق ، ويضحى خارج هذا العالم ولا تبقى للجسد أو النفس ميزة وكان هذا الناسك جسم هامد او كأنه بحكم اللاموجود » . ويصف الغزالي هذه الحالة مستشهداً بيت من الشعر للشبلي يقول :

ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رأيت محباً غير سكران ؟! (١)  
والقشيري يعرفها هكذا « والسكر غيبة بوارد قوي ، ولها ثلاث مراحل وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الري .

### النوم واليقظة،

ان هذه الحالة من السكر يصفها العارفون بانها غيبة عن العالم ، وحالة لا وعي للاشياء المادية ، مع تقبل الروح للانطباعات الروحية هنا يمدح النوم كحالة للحياة الروحية بينما اليقظة تسمى نوماً . فيقول ابن العبري : « ان العارف ينام ونفسه عن تسبيح الله لا تنام (٢) » وفي فصل حركات الكمال من كتاب الحمامة يقول : « ولاسيما ابان الصلاة حيث يبطل النظر وتلتهب النفس ويذهل العقل ، ويسقط الانسان ارضاً كميث لا حراك فيه ثم يستوي قائماً ،

(٣) احياء علوم الدين - الجزء الرابع

ويستعد للرؤية فتتشع السحابة رويداً رويداً ، وتستدير العين . وفي هذا المقام يفتقد الكامل كنائم وهو يقظان ويحسب مستيقظاً وهو نائم « (١) ويقول ابن عطا الله « قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم » . ويقول ابو طالب المكي « فيكون نوم العارف يقظة لأن قلبه حياة » . ويقول اسحق النينوي « ان من تحدث له رؤية لا يعرف فيما اذا حصلت في حالة اليقظة أم اثناء النوم » وهذه هي حالة الغيوبة وفقدان الوعي للاشياء الحسية وتدعى بتعبير علمي اللاشعور ، ويقول عنها القشيري « فالغيب غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق لأشغال الحس بما ورد عليه ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره » .

## الابتهال والذكر

عندما يفرغ الناسك من صلواته يبقى اسم الجلالة على لسانه ، ويصف ابن العربي هذه الحال بان الزاهد يستمر يتمم : اللهم ! اللهم ! ويستمر طويلاً ، ولو انه لا يحرك شفثيه تبقى الكلمة على لسانه . ثم يختفي الاسم من بين شفثية ويبقى الذكر في قلبه . وبعدئذ يختفي من قلبه ايضاً ويلازم عقله فقط . وهكذا تبقى النفس ملتهبة شوقاً الى ربها اللامتاهي وتعطي نفسها برمتها لربها ، فلا تفكر بسواه ، ومنذئذ تفتح نوافذها تدريجاً ويمر الله امامها فجأة كالبرق ، ثم يغيب وقد يتأخر رجوعه اليها وعندما يرجع يبقى فترة طويلة . بهذا التحديد للابتهال والذكر ، يمكننا ان نقارن عبارة ابن عطاء الله القائل : « لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع

(١) الايثقون المقالة الاولى الباب الثالث الفصل الرابع

(٢) الحماسة الباب الثالث الفصل الثاني .



وجود يقظة . ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ، ومن  
ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك  
على الله بعزير . «

## البرق

ان ظهور الله كوميض من برق ، هو مقدمة المشاركة الثابتة معه . ان  
القشيري يعبر عن ذلك بكلمات لطيفة تقارن مع تعابير ابن العبري حيث يقول :  
« فتكون اولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع فاللوائح كالبروق ما ظهرت حتى  
استترت ، واللوامع اظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة . والطوالع  
ابقى وقتاً واقوى سلطاناً وأدوم مكثاً ، وأذهب للظلمة ، وانفى للثمة . »

## النشوة

اي الجذل ونشوة العقل هي تحرره من ضواحيه الأرضية ، وارتفاعه الى  
السماء ، فيخطف الانسان ويجذب نحو السماء ويخدر ، وينذهل ، ويتعجب ،  
ويصف ابن العبري هذه الحالة فيقول : « كان أحد الاخوة يقول : اذا ما  
اشرقت علي المحبة الأبوية فأختطفت عقلي ، قبل ان يرتمي حائراً متهيأ ، يسبح  
في بحر من نور فيعتمد ، ويتسامى بوحيه ، ويتصاعد خاشعاً ، ويشمل بكؤوس  
متربعة من العظمة متهجأ ، ويضطرم حباً وهياماً ، وفي صفحته يبصر الملائكة  
يشرقون وينشدون فينظم اليهم منشدأ مسبحاً ، ثم يجمع قواه ، فيتوارى عن  
غيابات الانوار المتألقة ، ويخشع لرؤية ذوي الجمال ، ويصعق بحب ذي الجلال ،  
ويستحيل كل شيء لديه الى عدم ، حتى ذاته . وفي هذا المأزق المتسامي عن  
المعرفة والحركة ، يخشع العقل برهة تارة ، وطوراً ساعة كاملة ، أو النهار كله ،  
طبقاً لارادة الروح ، وبعد اجلاء هذه اللحظات الرهيبية ، يستمر مصعوقاً لاجراك

فيه ، زهاء اسبوع كامل ، ثم يغيب العقل ايضاً ، ثم يشرق ، ويظهر أولاً كالكوكب  
الدرى ساطع الاشعة رائع الجمال مشرقاً متألقاً ، ثم يستحيل الى عمود من نور ،  
ثم يرتفع العقل ويغيب من جديد متوارياً في السحاب ، حيث تهبط عليه منح  
الوحي والالهام ، والنبوة والشفاء .

يقال ان انطونيوس عندما كان يصلي صلاة الساعة التاسعة ، شعر ان عقله  
قد ارتفع . وقديس آخر وجد في نشوة مدة اربعة ايام ، بينما كانت يداه ممتدتين  
الى السماء وهو واقف في الصلاة . فالصلاة في هذه الحال تتركه فهو في نشوة  
رؤية الروحيات يعجب . لذلك فالقشيري يقول « المعرفة غايتها شيان الدهش والحيرة »  
وايضا يقول : « وعند المحققين ، المحبة استهلاك في لذة ، والمعرفة شهود في حيرة » .

## الالهام

الحيرة هي الحال التي تكون فيها اعمال الجسد والعقل قد انتهت ، فهي  
قريبة من الحال التي يقول فيها النساك ، انهم تنظموا الالهام . والالهام هي الحالة  
التي يكون فيها العقل ساكناً ، ولا يستطيع الانسان اكتشاف وسيلة لنيل المعرفة  
الروحية عن طريق المساعي الحماسية والاختراعات البشرية . فهو يحصل فقط  
بالاعمال الروحية . ويصرح ابن العبري قائلاً : « انه يتوق ان يرى عن طريق  
الاعلانات كل ما فهمه بالعلم » أي بالتأمل الروحي . ويذكر القشيري سلسلة  
من الكلمات تعبيراً عن الالهام فيقول « المشاهدة ، والمكاشفة ، والمحاضرة ، والتجلي » .  
ومثل هذه الكلمات يعبر عنها ابن العبري كالتالي :-

١- كالبرق الخاطف . ٢- كنجم حجبه السحابة عن الرؤية . ٣- الحمامة في

وكرها (١) ويعطي القشيري توضيحاً لكلماته فيقول : « فالمحاضرة وهي حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان . ثم بعده المكشفة وهي حضوره بنعت البيان . ثم المشاهدة وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة » .

## الآلفة

ان الالهام يمنح النساك شعوراً بالآلفة مع الله . ويقول ابن العبري « لما تفتتح عينا العقل ، بحسب قابليته ، تفيض عليه النعمة ، فيستضيء بالاشعة الملائكية الساطعة ، ويستأنس بأهل الملكوت ، وينضم الى اجواقهم السعيدة ويتهيج ويمجد معهم ، ويصير غريباً عن العالم وكل ما فيه (٢) ، ويسمي ابن العبري هذه الحالة « العزاء بالله أو السلوى به » (٣) . ويقول الغزالي : « واذا غلب عليه الفرح بالقرب ، ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف ، وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف ، غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد ، استبشر القلب بما يلاحظ ، فيسمى استبشاره أنساً » . وابن عطاء الله يناجي الله تعالى بالصلاة التالية : « يا من اذاق احبائه حلاوة مؤانسته .

## الدالة

ان الحالة التي تسمى بالسلوى ، والانس ، والآلفة . قريبة جداً من الدالة ، أي حرية الكلام امام العزة الالهية ، ويصفها ابن العبري قائلاً : « ومن هذه التعزية تتولد الدالة ، وهذه وان كانت خطيرة ، لان روح الجسارة تمازجها ، وقد سماها الحكماء ريح السموم ، الا انها اذا رافقت من رسخوا في اعماق التعزّي

(١) الحماسة - الباب الثالث الفصول الاول والثاني والثالث والرابع

(٢) فيه - الباب الرابع - القول (١٦) ،

(٣) الايشقون المقالة الرابعة الباب الخامس عشر الفصل الحادي عشر



بالله ، فليست خطرة ، وتكمل هذه الدالة اذا ما ارسل الله روح ابنه الى قلوب  
الكاملين فتهتف « يا أبا الاب » (١) .

وللغزالي نظريات في الالفة والسلوى في الله ، والدالة ، وحرية الكلام ،  
حيث يقول : « اعلم ان الانس اذا دام ، غلب ، واستحكم ، ولم يشوشه قلق  
الشوق ، ولم ينقصه خوف التخير ، والحجاب ، فانه يثمر نوعاً من الانبساط ،  
في الاقوال ، والافعال ، والمناجاة مع الله تعالى ، وقد يكون منكر الصورة ، لما  
فيه من الجراءة وقله الهيبة ، ولكن محتمل من اقيم مقام الأنس ، ومن لم يقم  
في ذلك المقام ، ويتشبه بهم في الفعل ، والكلام ، هلك به ، واشرف على  
الكفر » (٢) وابن عطاء الله ايضاً ينذر المتصوف ويحذره قائلاً : « قف على  
البساط ، واياك والانبساط » .

وحالة الانس قريبة جداً من غاية النسك القصوى ، الا وهي الاتحاد بالله  
التي يقول عنها العارفون ، بانها الحال التي لا توصف . وقد وصفها السريان ،  
بنوع رمزي ، فقالوا عنها انها الدخول في السحابة .

### السحاب

يقول ابن العبري في مقدمته لكتاب الحمامة : « ان الباب الثالث يبحث  
في شرح الاستقرار الروحي للحمامة المعزية التي توصل الانسان الى مرحلة الكمال ،  
وتسمو به الى الدرجة الملكية ، وتولجه في السحابة الالهية ، التي يقال عنها ان  
الرب ساكن فيها » . ويقول في موضع آخر : « كما ان الجائع لا يشبع بالماء ،  
والعطشان لا يرتوي بالخبز ، كذلك العارف الذي يرغب ان يرنو الى باطن

(١) الايثيقون المقالة الرابعة الباب الرابع عشر الفصل الحادي عشر .

(٢) احياء علوم الدين

السحابة السينائية لا يلذه خبر الكتب الا قليلاً « (١) ويقول ايضاً « الذين يدخلون السحابة يدركون عمق الله وغناه وحكمته بدون وساطة التصورات وعرقلتها « (٢) ويقتبس في كتابه « الايثيقون » قول أحد المشاهير ما نصه : « واذا ما بلغ الناسك السحابة الالهية وانتهى الى ميناء الامان » يرمع مجد الرب وجهاً لوجه ، فيتلاً ، ويستحيل الى كائن يشبه ربه ، وهناك تفيض منه الرحمة على الكون كما يفعل ربه « (٣) . ويقول اسحق النينوي : « ان حالة التشبه بالله يدعوها بعضهم بالسحاب » . كما انه يستعمل تعبيراً آخر حيث يقول « انك تجد اجنحة العقل تنمو في احشاء العفة ، وبهذه « الأجنحة » يرتفع « العقل » الى المحبة الالهية فيجرؤ على التقرب من السحاب » .

## الانخطاف

ان انخطاف العقل يوضح بعبارات الشوق ، حيث يغيب الناسك عن حسه . وهذه الحالة يدعوها المتصوفون المسلمون بـ « الفناء » ويدعوها الناسك السريان بالانخطاف ، وهو دخول النفس السحاب : ويستمر هكذا ، عندما يتوضح امام النفس وجه ربها فسرعان ما تذهل امام هذا الشعاع ، فتستنير بجماله ، وتضحى عاجزة عن ترك بهجتها هذه ، وان لم يطلقها ربها من الاتحاد به تنس شريكها الجسد ، وعندما يرجع عقل الناسك ثانياً الى الرب حينذاك يخطف الجسد معه ايضاً ، ونادراً يحطم اثناء الصعود ، وهكذا يرتفع من مجد الى مجد بوساطة الرب الروح . ولا يسهو العقل عن كل ما هنا وحسب ، وانما ينسى نفسه جميعاً ايضاً ، ولأجل ما يكتفه من النور يرى نفسه شيئاً بالله . ويصف لنا

(١) الحمامة - الباب الرابع ، القول (٧)

(٢) فيه القول (١٢) .

(٣) الايثيقون المقالة الرابعة الباب الخامس عشر - الفصل الخامس عشر

اسحق النينوي ذلك بقوله : « حقاً ايها الاخوة ، ينسى الناسك احياناً ان نفسه ( لا تزال ) لابساً جسدها ( الترابي ) ، ولا يعرف فيما اذا كان لا يزال على الارض ( يعيش ) . ويقول القشيري « واذا قيل فني عن نفسه وعن الخلق ، فف نفسه موجوده والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ، ولا به ولا احساس ولا خبر . . . ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق اجمعين غير محس بنفسه وبالخلق » وقال ابن عطاء الله : « وقد سئل ابو سعيد ابن الاعرابي عن الفناء فقال : « الفناء ان تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة ، والاحوال ، والدرجات والمقامات ، والاذكار . تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه » .

## الاتحاد

بلغنا الآن ، الى مركز اتحاد الانسان مع الله ، الهدف الاسمى المقصود من التصوف . والصورة الرئيسة فيه ، ويوصف هذا الاتحاد بان ( يرى المتصوف ذاته انه صورة الله ، وانه أصبح شبيهاً بالله ) . وشبهه العارفون باتحاد الحديد بالنار . والهواء بنور الشمس . ويصفه ابن العبري قائلاً : ( ويرى الناسك ) ذاته انه صورة الله ، واذا يعب كؤوساً مترعة في ذلك المخدع ، يغيب عن حسه ، ويهذي في سكره ويقول : انا والاب واحد ، وأبي فيّ وانا فيه « مع اشياء اخرى غيرها تحرص الحمامة على اخفائها ، ولأجلها تقول : « السر لي ولبني بيتي » ، ولما وقف السعيد بولس على سر هذه الامور قال : انه « سمع كلمات لا ينطق بها ، ولا يسوغ لأنسان ان يتكلم بها » ويتابع ابن العبري قوله « متى اتحد العقل بالصالح فانه يترك اسم المحبة والمودة لأن المحب والودود ، يصير ههنا شخص المحبوب المودود ( ذاته ) » (١) وههنا يبلغ الناسك أوج الامر الذي عقد عليه قلبه ، ووطن نفسه ، ولم ينش عنه ، فادركه ، وبذلك ظفر بأمنيته ، ونال مراده ، وفاز بسعادة أبدية .

(١) الحمامة الباب الثالث الفصل الرابع





# كتاب الحمامة

وهو الموجز في سيرة المتوحدين

الف

مفريان المشرف، الرب القديس مارغريفيوريس

ابن العبري المبجل (١)

## المقدمة

كما اننا نجد في علم طب الاجساد ، يا أخانا ، كتباً تتضمن العناية بالمرضى الذين لا يتوفر لديهم طبيب ، هكذا ايضاً في طب الأنفس تجب معرفة معالجة المرضى الذين ليس لهم مرشد ، أو كان هذا في منأى عنهم ، لاسيما في هذا الجيل الذي خلت فيه الأمة السريانية من عالم اختبر بذاته حرج الطريق الموصلة الى الملكوت ، وضيق الباب المؤدي اليه ، لذلك عزمنا على ان يكون موضوع بحثنا هذا سهلاً وبسيطاً . وقد قسم هذا الكتاب الصغير في مبناه ، والعظيم في معناه ، الى اربعة ابواب :-

---

(١) الأصل « المعظم بالله أمين » ونرى ان كلمة « المبجل » تغني عن هذا التعبير في النقل الى لغة الضاد .







الباب الاول :- تعليم العمل الجسدي الذي يتم في ( القنوبين ) دار  
المبتدئين (١) .

الباب الثاني :- كيفية ممارسة السيرة الروحية في الصومعة .

الباب الثالث :- شرح الاستقرار الروحي للحمامة المعزية التي توصل  
الانسان الى مرحلة الكمال ، وتسمو به الى الدرجة الملكية ، وتولجه في السحابة  
الالهية ، التي يقال عنها ان الرب ساكن فيها .

الباب الرابع :- قصة تدرج المؤلف بالعلوم ، ويلحق بذلك اقوال الهامية .  
وتشير الى هذه المواضيع الاربعة ، سيرة نوح ، التي مرت بمراحل اربع ،  
الاولى : عمل البر الذي ارضى به الله . الثانية : دخوله الفلك الذي نجاه من  
هلاك الطوفان . الثالثة : خروجه من السفينة عندما بشرته الحمامة بنقص الماء  
على وجه الارض

---

(١) ملاحظ : كلمة يونانية Choinobin ومعناها المتدى أو المجتمع اطلقها  
الرهبان الاولون على مكان اجتماعهم ( تاريخ مدينة الله انطاكية العظمى - للدكتور اسد  
رستم - بيروت ( بدون تاريخ ) ج ١ ص ٢٩٠ .



الرابعة : الايحاءات التي ألهمها والعهد الذي قطعه ( الرب ) معه ،  
وغرسه الكرم ، وشربه من خمره ، وسكره . لكن تلك الحمامة كانت  
غير ناطقة ، وكانت مائة ، واما هذه الحمامة فهي ناطقة وخالدة ، بل انما هي  
ايضاً تهب نطقاً للناطقين ، وحياة للاحياء ، تطير طيراناً دون ان تغادر مقرها  
العلوي فوق بيعة الابكار السماوية . تبلغ كل مكان دون ان تتحرك من مكانها .  
لا لون لها ، وبها تتصور الاشكال كافة . تسكن المشرق وهي في كل المغرب ،  
غداؤها نار ومن ترفرف عليه بأجنحتها تتقد في فيه السنة من نار . المشغوفون  
حباً ، ومرضى الهيام كافة ، يبيحون لها بأسرارهم ، وهي تروي لهم ظمأهم .  
كلامها يقرع كل اذن ولكن قليلين يستجيبون له .





تدعو كل انسان بأسمه ، ولكن واحداً من الف يلي نداءها . هديلها أحلى من  
نغمة الارغن السائغ الرخيم . وكما قال الشاعر :

انها الطهر خالصاً لم تدنسـ

ها عيوب ولا نمتها هيولى (١)

الباب الاول  
العسل الجسدي في دار المبتدئين  
وفيه عشرة فصول

الفصل الاول  
ابتعاد الانسان عن العالم

يبتعد الانسان عن العالم وشهواته لسببين اثنين :- فالسبب الاول ، حقيقي  
رئيس ، وهو نتيجة الهام الهي ينشأ في فكر الانسان فيوقظه من سباته ليتصور  
ليل نهار امامه العذاب المعد للخطاة في العالم الآتي ، والنعيم الموعود به للابرار  
في ملكوت الله .

---

(١) تعريبها نثراً كالتالي : انها طاهرة جداً وذات حياء ، ولا يمكن ان توصف بشائبة ،  
ولا تمت الى المادة بصلة ، لانها روحانية لا جسم لها .







وهذا الامر لا يحدث الا نادراً ولأفراد قليلين ، وفي أزمته متفاوتة ، وفي بعض الأمكنة فقط .

اما السبب الثاني فهو مجازي ومستعار ، انه محبة المجد الباطل ، التي تغري الانسان بالشهرة حتى تسوقه الى اقتناء المجد بأتعاب النسك المضنية ، ومثله مثل بعض الاغنياء الذين في سبيل الحصول على المجد يضحون بخسارة كبيرة . وهذا السبب يحصل لكثيرين وفي كل زمان ومكان ، وهو ولئن كان هيناً حقيراً ، يقتضي عدم رفضه رفضاً باتاً ، إذ كثيراً ما تسقط البذور على الارض عفوياً وتأتي بثمار كثيرة . وكم من بذور فُلح حقلها ولكنها لم تثمر .

## الفصل الثاني التوبة

متى يدرك الانسان الفاضل مضرة الخطيئة ، يندم على ما اقترفه من الزلات ، ويبعد عنه ما كان منهمكاً به ، ويعزم على ألا يعود الى الخطيئة ثانية .



وعزاؤه ان التوبة تقبل كلما قدمت ، كتوبة أهل نينوى وتوبة سمعان هامة الرسل .  
وتكون الخطايا اما عقلية كالكبرياء ، والمجد الباطل ، والحسد ، والنميمة .  
أو غضبية كالسخط ، والسلب ، والحقد . او شهوانية كالطمع ، والشراهة ،  
والفسق . وخطيئة العارف عظيمة مهما صغرت . (١)  
وعلى التائب اذا ما اخطأ ان يطلب من الله المغفرة بتنهيدات شجية ،  
معتزفاً بخطاياهم ، كما فعل الذين كانوا يعتمدون من يوحنا في الاردن (٢) وكما  
فعل الذين آمنوا ( بالمسيح ) اذ كانوا يأتون الى الرسل ويقرّون بخطاياهم (٣) .  
وقد قال يعقوب الرسول : « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » (٤) كذلك قال  
يوحنا الرسول : « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا » (٥)

### الفصل الثالث الزهد

أيان ترسخ التوبة الحقيقية في نفس الانسان ، ويرى مقتنيات الدنيا فائضة

- 
- (١) قال الغزالي في كتاب احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٨ .  
(ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة  
يكبر بقدر معرفة المخالف ) .  
(٢) انجيل متى ٣ : ٦ .  
(٣) سفر اعمال الرسل ١٩ : ١٨ .  
(٤) رسالة الرسول يعقوب ٥ : ١٦ .  
(٥) رسالة الرسول يوحنا الاولى ١ : ٩ .





عن الحاجة والضرورة انما تطلب لأغراض الخطيئة ، يحتقرها ويزهد عنها .  
وللزهاد درجات ثلاث : سفلى ، ووسطى ، وعليا . فالسفلى : هي درجة  
الذين يزهّدون عن اللذة خوفاً من العذاب العتيد (١) واما الوسطى فهي درجة  
الذين يرفضون اللذة الزمنية طمأناً في نعيم الفردوس . اما العليا فهي درجة  
الذين مطلبهم هو الرب الصالح وحده ولذلك يشيخون بوجوههم عما سواه .  
ويكيل العلماء المدح لهذه الغاية .

ويكون الزهد في المال ، والقوت ، والكسوة ، والمسكن ، والاثاث .  
فالزهد في المال هو ان لا يقتني الزاهد شيئاً منه .

واما الزهد في القوت فهو ان يدّخر له كفاية سنة واحدة أو شهر واحد ،  
أو يوم واحد ، من خبز الحنطة أو الشعير أو الذرة . ( لما يحاول تناول طعامه )  
يغمس ( الخبز ) بالسمن أو الزيت أو بماء ملح . ( وهذه الاخيرة هي ادامة  
وحسب ) .

---

(١) قال ابن عطاء الله ( ١ : ٦٧ ) « مَنْ عَبَدَهُ لَشَيْءٍ يَرْجُوهُ مِنْهُ أَوْ لِيُدْفَعَ بِطَاعَتِهِ وَرُودِ  
الْمَعْقُوبَةِ عَنْهُ فَمَا قَامَ بِحَقِّ أَوْصَافِهِ » .







واما الزهد في الكسوة فهو ان يكتسي بثوب دون (١) من الصوف او الشعر يستر به جسمه حتى الركبة . ويتمنطق بسير (٢) ، أو ان شاء لبس رداءً ، واعتمر بقبعة وانتعل حذاء .

واما الزهد في المسكن فهو أن يأوي الى صومعة صغيرة أو كهف أو كوخ ، أو لا يكون له مكان معين ، اقتداء بربنا (يسوع) . بل يجلس ويرقد حيثما اتفق له .

اما الزهد في الاثاث فهو ان يستعمل الأواني المصنوعة من الخزف أو الخشب أو القرع .

### الفصل الرابع التواضع

لما كان زهد الكثيرين عن غير اختيار ، لذلك فالتواضع هو علامة الزهد الحقيقي ، ودلالة التواضع هي الطاعة ، وللتواضع دلائل اخرى ايضا كعدم تحرج ( المرء ) اذا جلس في مجتمع ما بمقام أحط من مقام من هو اصغر منه (٣) ، وكذا في اوان الصلاة . وان يتصرف ببشاشة مع المساكين ، والفقراء ، واذا ما دعوه يلبى دعوتهم (٤) .

---

(١) الحقير : الخسيس الثمن .

(٢) قطعة من جلد مستطيلة تتخذ حزاماً ، وجمع سير سيور وسيورة وأسيار .

(٣) قال الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ج ٣ ص ٣٠٩ : « ويجلس في الصدور تحتهم » .

(٤) فيه ايضاً « ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب » .





وان لا يأنف من الاتشاح بالأطمار . ويقول مار اسحق : « ان التواضع حتى بدون تعب يغفر خطايا كثيرة » (١) . ويقول ابوانيس رئيس الدير (٢) اذ كانت الكبرياء وحدها دون سائر الاثام قد هوت بالشیطان من العلا ، فالتواضع بدون بقية الفضائل يُصعد الى السماء .

وعندما يصاب الانسان بمرض الكبرياء ، يشفى بمعرفة ذاته ، اعني انه قد خلق أولاً من نطفة تنته وسيكون بعد وفاته طعاماً قذراً للودود . وقد قال أحد العلماء : كيف يتكبر من خرج مرتين من مجرى البول (٣) .

## الفصل الخامس الصبر

كما ان الطاعة تلازم التواضع ، يقتضي ايضاً ان يتبع الطاعة احتمال الشدة . وتكون الشدة اما زمنية ، واما ابدية ، وكذلك تكون الراحة ايضاً . واذ ان الشدة الزمنية ذي وسيلة للراحة الأبدية ، والراحة الزمنية هي وسيلة للشدة الابدية ، لذلك فالعلماء الحائزون على حكمة المسيح ، يحتملون الشدة الزمنية من أجل الراحة الأبدية .

---

(١) « قال يوسف بن اسباط : يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد » . ( الغزالي في احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٦ ) .

(٢) يقصد دير سينا ،

(٣) جاء في كتاب احياء علوم الدين للغزالي مج ٣ ص ٢٨٨ مايلي : « فقال سلمان لکني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منته . أفترى ان الدودة التي خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التي من بول فرس » .





وهذه هي الشدائد التي يجب الصبر على احتمالها : الجهاد ضد الشراة والشهوة الجنسية (١) ، واتعاب النسك الارادية ، والتجارب غير الارادية ، التي تحصل بسماع من الله لأمتحان المتوحد ، كالأحداث الصعبة والمستعصية ، وملاقاتة الناس الاشرار والكافرين . والسقوط من الكهوف ، وأحتقار المدبرين وأستهزائهم وسائر الاخوة ، بالمبتدئين الخادمين في الاقنوبين (٢) دون ان يذنبوا . وايقاعهم بامراض مستعصية كالكسل والاهتمام بالجسد ، واضطراب الضمير ، واليأس ، وظلمة الافكار ، ومنع المساعدة البشرية ، وهذه كلها تشفى بكلام ربنا « الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » (٣) وتعالج بكلمات الآباء القديسين عن فضيلة الصبر

---

(١) جاء في كتاب احياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٧٠ « باعث الفرج والبطن »

أي **فكنا حنما مسعيا**

(٢) دار المبتدئين .

(٣) انجيل مرقس ( ١٣ : ١٣ )



كذا من: فتح وفتح منبسطا جلا. لا منار.  
 الكفا وفتحها: هذا الجايد وهذا  
 منبسطا لا منبسطا وفتحها: ابيها منبسطا  
 اسرها منبسطا وفتحها: هذا منبسطا  
 منبسطا وفتحها: اتم وفتحها: اتم الا اتم  
 وفتحها: هذا منبسطا. ولا جلا. الا  
 حبه منبسطا وفتحها: منبسطا منبسطا وفتحها.  
 وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا منبسطا  
 حبه وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا  
 منبسطا وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا  
 منبسطا وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا  
 منبسطا وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا  
 منبسطا وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا  
 منبسطا وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا  
 منبسطا وفتحها: منبسطا وفتحها: منبسطا

١٤: - ق - و - د - الجايد // حبه  
 ١٤: - د - لا منبسطا  
 ١٦: - د - و - ب - و لا منبسطا // حبه



والخلاصة ان من لا يضطرم ( قلبه ) بمحبة الله . يشابه اللبنة ( الرطبة ) اذا وضعت في أساس على ضفة نهر ( جار ) لا تصمد ولو ساعة واحدة ، ولكن اذا سجرت بالنار صارت صلدة كالصخرة .

## الفصل السادس حبة الاخوة

حبة الاخوة هي علامة الصبر الحقيقي . لذلك يجب ألا تشوبها العثرات بل تكون عن طيب خاطر وحسن الرضا .

والمحبوب الحقيقي هو الذي يُحَبُّ لذاته ، اذ ان محبته يلتذ بعشرته . وليس مصدر هذه اللذة جمالاً ظاهراً أو باطناً انما هو انسجام خفي ( وتجاوب باطني ) ما بين الشخصين . ( فليس غريباً اذا ما علمت ) ان اناساً يحبون ذوي المناظر القبيحة والاخلاق السيئة .

والانسان ( عادة ) يحب من يساعده في غرض جسدي ، أو يرشده الى فائدة روحية ، كمعلم ( العلوم ) النظرية والعمل الصالح . ويحب من كان فظناً لا جاهلاً ، وعفيفاً لا شرهاً ولا طماعاً ، وطيب المعشر لا شرساً .



ومن المحبين من يعتبر صديقه كقريبه فيعطيه مما يفضل عنه . ومنهم من يعد صديقه كنفسه . ومنهم من يرغب في فائدة صديقه اكثر من نفسه . ومنهم من يعرض نفسه للتجربة عوضاً عن صديقه .  
وعلى الصديق ان يساعد صديقه ويسد له حاجته قبل ان يطلب هذا منه بلجاجة أو بغير لجاجة . وان يقاوم اعداءه . ويصفح عن زلاته . ولا يفضح عيوبه . ولا يخفي طيب شمائله . ولا يثقل عليه . وان لا يصغي الى قصص جاره . ولا يراقبه من خُصاصة (١) الباب ونحوه متجسماً عليه . ومن لم يعتن ببني جنسه المؤمنين . كان شراً من غير المؤمنين كما قال الطوباوي مار بولس (٢) .

## الفصل السابع عشرات اللسان

لا بد ان نتكلم بعد هذا كله عن العشرات المندسة في هذه الطريق الضيقة

---

(١) الخُصاصة بضم الخاء الشق في الباب او الحائط أو البرقع ونحوها .

(٢) رسالة الرسول بولس الاولى الى تلميذه تيمثارس (٨ : ٥)





ررها فلا يتمكن ان يحذر منها وهي كالآتي :

ذي لا يبرر الانسان ان نطق به ، ولا يخطيء ان لم ينطق  
غالباً . ويعالج بالخلود الى السكينة ، وتدريب اللسان على  
ضعف حصى في افواههم ليمنعوا بها انفسهم من الكلام (١)

في الكلام . وسببه قابلية الانسان على طلاقة اللسان ، والتوغل في  
( مثلا بدون مناسبة أو داع ) ويعالج كالسابق .

#### الخطيئة ضمنا:

ار مجرد الاشرار وانتصاراتهم وغناهم . والاخبار التي اذا ما  
نتهم ونقص ايمانهم . ويعالج هذا بما جاء بالمزمور (٢)  
« اما الاشرار فيبادون جميعاً » في هذا العالم أو في العالم الآتي .

#### الخصام:

وهو العناد وعدم الطاعة

---

(١) جاء في كتاب احياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٩٧ ما يلي ( كان أبو بكر الصديق  
يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام ) .  
(٢) المزمور ( ٣٧ : ٣٨ ) .







وينتج عن الكبرياء التي تسوق الانسان الى تعظيم نفسه ، والبغضة التي تجذبه الى احتقار صديقه ، ويعالج الخصام بتحطيم هاتين الرذيلتين الذميتين .

### المشجرة :

وهي النزاع بالكلام الذي يثار ، اما من الظالم ، واما من المظلوم . اما الاول : فيعالج بالآية القائلة : « لا تظلموا أحداً » (١) واما الثاني فبالآية القائلة « من اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء ايضاً » (٢)

### الشتيم :

وله باعثن . الاول : ان يقصد الانسان اغاظة المشتوم ، والثاني كون الشتم عادة رديئة تأصلت بالأنسان وتمكنت منه بمعاشرة الجهلة ، ويعالج الشتم بالآية القائلة : « ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ، ومن قال يا أحمرق يكون مستوجب نار جهنم » (٣) اما من توجه اليه الشتيمه فعليه ان يعتبر سببها خطيئته ( الذاتية ) لا من شتمه ، وبهذا ينجو من إبغاضه اياء ،

### الحرم واللعنة :

الحرم هو ابعاد شيء عن الله .

---

(١) انجيل لوقا ( ٣ : ١٤ )

(٢) انجيل متى ( ٥ : ٤ )

(٣) فيه ( ٥ : ٢٢ )

الحبيب قد يفتنهم وقد يفرحهم بالآثار. ويأويهم  
 الميرة ويحفظهم من حلالا ويمنعهم من الحرام.   
 وبه تنحل ما في روضه وخبثه في ملكه كمن يفتنهم  
 كما يفتنهم من اعطاه الخلق اذ منتهى امره على تنحل  
 منتهى ما وجدتهما اذ تنحل ما وجدته.   
 واما انما الهمم حبه. حلالا وما يفتنهم به.   
 معسرة كغيره واذ منتهى حبه منتهى امره  
 من به منتهى ان يفتنهم به. اذ منتهى امره  
 يفتنهم به. وسما منتهى امره.   
 واما انما. وملكنا اذ منتهى امره.   
 ويهدى بقصدنا اذ منتهى امره.   
 منتهى امره. وفضله كغيره منتهى امره.   
 بل منتهى امره.   
 اذ منتهى امره.   
 حلالا ويحفظهم من حلالا.   
 حلالا منتهى امره.   
 منتهى امره.   
 منتهى امره.

واللعنة هي ان يطلب الانسان الشر لغيره . والعارفون الذين يسمعون كلام الرسول بولس القائل « باركوا ولا تلعنوا » (١) لا يحرمون ويلعنون .

### الغناء:

يتركب الغناء من عبارات مثيرة للميول الفاسدة ، ويضم بين طياته هوى الزنا ، لذلك فهو مشجوب ، ومن كان مصاباً به فعلاجه ابدال الغناء بالترتيل .

### الهزل:

هو الكلام الباعث على الضحك وهو يمت القلب ويقلل الكرامة . ومصدره الدالة التي يصفها العارفون بريح محرقة تهب على الزروع ابان الحصاد فتصوتها . ويعالج الهزل بقول الانجيل المقدس « ويل لكم ايها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون » (٢) .

### السخرية:

وهي فضح مساوي، الناس استخفافاً وبنوع من الاحتقار والازدراء ، وتعالج السخرية بقول الانجيل « لا تحتقروا احد هؤلاء الصغار » (٣)

### التعير والاستهزاء:

وهما اظهار عيوب الناس كرهاً وحقداً .

---

(١) رسالة الرسول بولس الى أهل رومية ( ١٢ : ١٤ )

(٢) انجيل لوقا ( ٦ : ٢٥ )

(٣) انجيل متى ( ١٨ : ١٠ )





ويعالجان بقول المرتل « طوبى للرجل الذي . . . في مجلس المستهزئين لم يجاس » (١) .

## الكذب

وهو الاقرار بما لا وجود له ، كأنه موجود ، وبالموجود كأن لا وجود له . ويعالج الكذب بقول المرتل ( مخاطباً ربه ) : « تُهالك المتكلمين بالكذب » (٢) واعلم انه اذا قصد به فائدة روحية لا يعتبر اثماً . مثلما لم يحسب كذب ( المرأة المسماة ) راحاب اثماً ، عندما اخفت الجاسوسين وانكرت وجودهما عندها (٣) . وقد قال أحد الآباء بهذا الخصوص ، « يجوز التصرف بهذا النوع من الكذب في حالة الخوف » .

## الغيبية :

وهي ذكر زلات انسان امام شخص آخر بعدم حضور المغتاب ، وسبب الغيبة توهم مقترفها انه لا ياثم بأظهار زلات غيره . وقد يغتاب انسان آخر بصيغة التعجب او الشفقة (٤) كمن يقول ( مثلاً ) : عجبني بذلك فلان كيف سقط في الفسق ! وأسفي على فلان كيف انه أخذ في السرقة .

---

(١) المزمور ( ١ : ١ )

(٢) المزمور ( ٦ : ٥ )

(٣) سفر يشوع ( ٢ : ٤ - ٦ )

(٤) وهو أسلوب بشكل المدح يراد به الذم كما يقول البلاغيون







ويعالج هذا المرض بأن يحصي الانسان فضائل المعتاب فلا يذمه ان كان فظناً .

### الوشاية:

وهي ذكر السوء امام الانسان الذي قيل عنه أو اقترف ضده ، والغاية من الوشاية اما اساءة للقاتل واما احراز رضا الذي قيل عنه ( السوء ) ، واذا كان الاخير عادلاً لا يصدق الواشي بل يحتقره ، ويوبخه ، ولا يحقق معه مدققاً ، وهكذا يغادر هذا خازياً .

### الشفاه الملقّة:

الشقي صاحب الشفاه الملقّة ، يمدح كلاً من الخصمين امامه ، ويذمه وراءه . ويعالج هذا الداء بقول المزمور « يقطع الرب جميع الشفاه الملقّة » (١)

### المدح:

يقترف المادح أربعة انواع من الأثم : .. الكذب ، عندما يقول عن المرء حلو . والمحاباة : عندما يتطرف بالمدح . والضلالة : عندما يقول ما لا يعرفه بتدقيق . وسوء النية : عندما يبهج الأثيم ( بمدحه )

---

(١) المزمور ( ١٢ : ٣ )



اما الممدوح. فينالهُ شران ، الافتخار والكبرياء ، وكلاهما يعالجان بالصمت .

### السجادة بالكلام :

وهي كمن يقول لولا فلان لأكلني الذئب ، والجدير به أن يقول ، لولا  
ان الرب قيّض لي فلاناً لأكلني الذئب .

### الفحص التافه :

وهو ان يستقصي الانسان عن شيء لا تجدي معرفته فائدة أو خيراً . ولا  
ينتج الجهل به خسارة ، كمن يستقصي عن اسم أب ملكيصادق .  
ومثلما تتقى الفضة ، من رذالتها ، في الكور ، هكذا يتطهر المبتديء من  
هذه العثرات داخل دار المبتدئين .

## الفصل الثامن

### ارتداد المبتدي (١)

بعد ان يكون المبتديء قد بذل جهد طاقته في اداء فروض دار المبتدئين ،  
ويظهر مستقيماً في التصرف اللائق برتبته ، واذ يعرف ان آوان دخوله الى  
سفينة القلاية قد حان ، تراوده افكار الجزع القاسية

---

(١) قال القشيري : كل مرید وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه شيء .





ويشعر يقول لنفسه ، لا قدرة لي على تحمل السجن  
الدائم ، وهذا الامر اعظم من ان يقدم امثالي عليه ، فاياك  
( ايتها النفس ) ان تتجاسري من الدنو منه ، فقد أدخله لكن لعدم  
احتمالي ( تبعاته وفروضه الشاقة ) قد أخرج منه ، فأضحى سخرية للشياطين ،  
وهزءاً امام الملائكة والبشر . فالأجدر بي ان أبقى في العالم ، واعمل فيه البر  
المطلوب مني عمله . ألم يكن للابرار الأولين ، كإبراهيم واسحق ويعقوب ،  
نساء ، وبنون ، وبنات ، وانواع المقتنيات ، ومع هذا أرضوا الله اكثر من  
المتوحدين كافة . وهكذا موسى ، رأس الانبياء ، الذي كلم الله وجهاً لوجهه ،  
وداود ، الملك والنيبي ، الذي دعي قلب الله كما كان لبطرس هامة الرسل حماة  
ومع ذلك استودع مفاتيح السماء ، وآخرون كفريسقلا واقولاوس كانوا يديرون  
حوانيت وفي الوقت نفسه كانوا ابراراً .







والاب مقاريوس كان قد ارسل الى امرأتين متزوجتين في مدينة ليتعلم منهما البر . علاوة على ذلك فهناك وصايا الهية بخصوص الزواج كالأية القائلة « انموا واثروا واملاوا الارض واخضعوها » (١) . اما البتولية فليس هناك عنها أية وصية . والرسول بولس يقول عنها « اما العذارى فليس عندي امر من الرب فيهن ، ولكنني اعطي رأياً » (٢) فاذا اكثر المبتديء التفكير بمثل هذه الامور ولاسيما عندما يغلب من الشهوة الجنسية ، يضحى رجوعه الى العالم هيناً . وتهيأ للتحول من السيرة الروحانية الى الجسدانية ، اذا لم ينر عين بصيرته طيب روحاني حاذق .

### الفصل التاسع تقويم سيرة المبتدي<sup>١٣</sup>

عندما يعلم المرشد الشيخ سراً ان المبتديء يعرج على الجانبين . يخاطبه بأسى قائلاً : وا أسفاه يا بني ! أراك تختار لنفسك نصيب امرأة لوط التعيس ، اذ التفتت الى الوراء وصارت عمود ملح .

---

(١) سفر التكوين ( ١ : ٢٨ )

(٢) رسالة الرسول بولس الاولى الى أهل كورنثوس ( ٧ : ٢٥ )

(٣) وتدرج المرید في سلوك سبيل الرياضة ( احياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٦ )



ألم تسمع ما يقوله الرب « ليس أحد يضع يده على المحراث  
وينظر الى الوراء يصلح لملايكوت الله » (١) . عجيبي منك كل العجب ،  
اتعادل نفسك بالآباء القديسين والانبياء والرسل ؟ هل تستطيع  
الذبابة أتيان ما يقوم به الاسد ؟ وهل بإمكان العوسج ان يُطال الأرز ؟ فلا  
تضل يا بني بل اعلم ان الزواج الشرعي هو بالحق أفضل من البتولية الكاذبة  
الخداعة التي يراد بها ارضاء الله والعالم في آن واحد ، ولكنه ليس افضل من  
البتولية الصادقة التي لا تتأرجح بين المسيح والملك الارضي أو تتخذ لها طريقاً  
ذا اتجاهين . بل تمحض حبها كله لله وحده . وهي حسنة السيرة ، عظيمة  
الشان ، خفيفة ، منيرة ، متعالية عن المادة ، منزهة عن الشهوة ، وما اجمل ما قيل :

---

(١) انجيل لوقا ( ٩ : ٦٢ )





ان يدي العلماني المتزوج مربوطتان ، وان رجليه مقيدتان . اما غير المتزوج فيداه فقط مكبلتان . ولئن كان الراهب الحقيقي ما زال على الارض ، فانه يرتفع الى السماء باجنحة الروح التي يمتلكها . اما العلماني فعندما لا يتمكن ان يقوم بأود المرأة والأولاد من الكد الحلال ، غالباً ما يضطر الى الخطف والسرقه ، لأنه من يستطيع ان يحتمل شراسة المرأة ، أو ان يكفيها جميع حاجاتها ؟ . حقاً ان من تكن حاله بعذاب كهذا يتمن الموت .

وتدخل الخطيئة في العالم الى الناس من ابواب كثيرة كالحسد ، والحقد ، والبغضة ، والشهوة ، والتبرج ، وعجة الفضة ، والشراة ، والبخل ، واستقصاء احكام الله الفائقة العقل ، كالتقول مثلاً . لماذا اعدائي الاشرار اثرياء ، واصدقائي الابرار جياع طاوون ؟ (١) واشياء اخرى كثيرة مثل هذه لا ينجو منها الا المختارون .

فاذا ما انتصح المبتديء بمثل هذه الاقوال يعود الى منزلته اذا ما انتشاته العناية « الالهية » .

---

(١) جمع طاوٍ ، وهو الضامر البطن من الجوع







## الفصل العاشر علامات الاستقامة

لأستقامة المتديء علامات واضحة وهي : وداعة في السير ، ورسانة في الصوت ، وطيب في الكلام ، وورع في المحيا ، وخشوع في الرؤية ، واضمار في المسرة ، وبساطة في اللباس ، واتشاح بالأطمار ، وكمال في المحبة ، وتلاوة المزامير وفهمها ، ومحبة للغرباء ونقاء في الافكار . واذ يصير الأخ كاملاً بهذه الاحوال ، يجاهد مسروراً ويصلي لأجل توبة عدوه ، وينصت الى كلام الحكمة ، ولا يتعجب كثيراً من أمر لم يشاهده ، ولا من خبر لم يسمع به من قبل ، ولا يسأل كل من يلتقيه : الى اين تمضي ، او لأية حاجة ، ولا يتفوه بالقصص الهزلية ، ولا يحب الزينة كالمرأة ، ولا يتطلع هنا وهناك الى جسمه وردائه ، ولا يشبك اصابعه ، ولا يداعب شعر لحيته . ولا ( ينظف ) اسنانه بمسواك الا خلسة .



ولا يفغر فاه اذا ما جاع ولا يتشاءب عندما يستيقظ من النوم ،  
ولا يبصق كيفما اتفق . ولا يحرك يده عندما يتحدث ، وفي المجالس يتخذ  
آخر مكان فيها متضعاً ، فلا يتصدر في اعلاها مرتفعاً ، ولا يجالس الحكام .  
بهذه العلامات يعرف المبتدي الصالح الذي ما اكتسبها الا لخدم في دار  
المبتدئين ،

## الباب الثاني اتمام السيرة الروحية في الصومعة ويحتوي على عشرة فصول

### الفصل الاول ولجبات الصومعة

يجب ان تكون السكنى في الصومعة بأدراك وتميز لا عن تقليد كما يفعل  
الكثيرون ممن يجسسون انفسهم دون ما غاية يضمرونها في قرارة نفوسهم ، أو  
هدف يضعونه نصب أعينهم يصوبون اليه سهام مشقة طريقتهم ، وهذا الهدف  
هو انتظار موهبة انارة العقل تهبط عليهم من الرب . وقابلية مشاهدة الروحانيين  
بطبيعتهم ، ومعاشرتهم ، واشياء اخرى عظيمة تحدث للحبوس الناسك ، وتمنح  
له بعد قيامه بواجبات الصومعة





التي هي : الهدؤ ، النسك الحقيقي الذي يتم بالصلاة ، والذكر ،  
والقراءة ، والدرس ، والصلوات القانونية في أوقاتها المعينه والسهر ، والبكاء ،  
والصوم ، وعمل الدين ، والغربة . وحفظ القلب من الشهوات الرديئة ،  
التي هي : الكسل ، والشراهة ، والجشع ، والهيجان ، والغضب ، والحسد .  
والرغائب ( المغرية بالذات المنكرة ) ، والطمع ، والمجد الباطل ، والرياء ،  
والكبرياء ، والافتخار ، والتويخ . فاذا ما تنقى القلب من امثال هذه الأهواء  
الرديئة ، وجب ان يتحلى بالمزايا الصالحة ، كالمريض الذي علاوة عن احتراسه  
وابتعاذه عن أسباب ( المرض ) المضرة ، يحتاج الى ممارسة ما ينفعه ويساعده  
( على التغلب على المرض ) وهذه ( الامور بالنسبة للحيس ) هي : محبة العلم  
والايمان ، والشكر ، والرجاء ، ومخافة الله ، والفقر ، والاتكال ( على الله ) ،  
وصفاء النية ، وتذكر الموت ، هذه هي سيرة الانقياء القلب لانهم يعاينون الله ( ١ )  
وسنين كل واحدة ( من هذه الصفات ) : على حدة .

---

( ١ ) انجيل متى ( ٥ : ٨ )







## الفصل الثاني العزلة

سمت العزلة في أعين العارفين العقلية الى درجة انهم فضلوها - ولو كانت ( أحياناً ) خالية خاوية من كل فضيلة - على العُشرة المقترنة بالفضيلة . فالطوباوي فلاديس قال : اني سألت الأب سرماطا قائلاً : ماذا أعمل ؟ فاني لا أقوم ولو بواجب واحد بما تقتضيه الرهبة ! ؟ انما آكل وانام وأفكاري مضطربة ! فاجابني إلزم صومعتك ، ومارس ما تتمكن عليه من العمل ولا تقلق ، فاني واثق من انك تفوز مثل الأب انطونيوس .

وفوائد العزلة كثيرة ، أولها واسماها ، وأفضلها ، هي ما يكتسبه العقل من اللذة الروحانية بمعرفة الذات الالهية بطبيعتها (١) . علاوة على ذلك النجاة من الافكار العالمية المبطلّة للعبادة الروحانية . والخلاص من ثلب الاصدقاء . ومن تبكيت الاشرار ومن التملق . قد أخزي الذين يتملقون

---

(١) جاء في كتاب احياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ١٨٣ ما يلي : « التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض » .



« لان الله رفضهم » (١) ، ومن مشاهدة القبائح والاستماع ( أو الميل ) إليها  
اذ تلتصق بالطبيعة بسهولة ولا تفارقها الا بعد جهد جهيد . فان الانسان يقتبس بسرعة  
فائقة الكثير من الشر القليل في الوقت الذي لا يكتسب من الخير الكثير سوى  
القليل . والنجاة أيضاً من أذى الاشرار كما قيل : -

ان البهائم في الفلاة تلوذ من شر البشر : وكذا الوعول على الذراني فامن  
من كل شر . واذا الوحوش الى المدينة أقبلت ربيعت زمر : .

او جاور النسر القرى أغشى الدخان له البصر (٢) .

وأخيراً خلاص رفاق المعتزل من اذيته .

وللعشرة أيضاً فوائدها منها : العلم ، ومساعدة الضعفاء ، والتدريب ،  
والخبرة ، واحتمال اذى شرسي الاخلاق وحادي الطباع ، والتهذيب الذي ينتج  
عن تجربة الأمور . فبعد ان يكتسب المبتديء هذه الخصال في دار المبتدئين الذي  
يصفى كالذهب في النار (٣) ، يجب ان يختار حياة العزاة ويجلس نفسه في الصومعة .

---

(١) المزمور ( ٥٢ : ٥ )

(٢) تعريبها نثراً كالتالي : - لا تضرب حيوانات القفر بعضا ، ولا توضع وعول  
الجبال امام القصابين . ان اقترب وحش البرية نحو السور سلبوه جلده ، والنسر الذي  
يأوى الى القرية يعمي الدخان عينه .

(٣) قال أبو طالب ( ١ : ٩ ) « ان الله يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم

ذهبه بالنار » .





ومن الشروط الموجبة على الحبيس ، الامتناع التام عن محادثة الناس ، والتعود على حياة الانفراد الدائم في الصومعة ، وعدم مواجهة انسان طيلة أيام السنة ماعدا أيام الاحاد عند تناول القربان المقدس . وألا يزوره احد الا عند الضرورة القصوى . فان كثيرين ابتدأوا باعمال شاقة وانتهوا بسيرة ذميمة لعشرتهم للعلمانيين باستمرار ، ورؤية النساء الغنيات وتعليمهن ، بادعائهم معرفة علم الغيب ، واطلاق الخفايا . ولذلك انقلبت اكوأخهم الى نواد لاهل المدن والقرى ، وانتهوا من السيرة المنيرة الى أعمال الظلمة (١) .

### الفصل الثالث النسك بانواعه الاربعة أي الطلبة والذكر والقراءة والتأمل (٢)

١ - الطلبة : بعدما يصفح الانسان عمّن أساء اليه ، يتجه نحو المشرق ، ويرفع يديه الى السماء ، ويترك نظره الى الأرض خجلاً من ربه ( خاشعاً له ) ، ويقدم طلبته قائلاً مرات عديدة : -

---

(١) قال ابن عطا الله ( ٢ : ٦٤ ) : « من دخل الخلوة معتلاً في دخوله دخل عليه الشيطان . . . وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها » .

(٢) جاء في كتاب احياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٢٧٩ ما يلي : « فهذه الوظائف الاربعة اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي ان تكون وظيفة المرید بعد صلاة الصبح بل في كل ورد » وقال أيضاً : « بعد الفراغ من وظيفة الصلاة ، فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربعة » .







اللهم ارحمني أنا الخاطيء ، ربي ارحمني ، ربي هب لي ما يصلح لي فأنت أنت العارف بذلك . وهكذا يعطيه الرب ما ليس في حسابانه ، ( من صوالح النعم ) .

**الذكر :** يكون ذكر الله بتكرار عشر جمل من تساييح الفتيان الطوباويين ، ستاً من تسبحة ( تباركت ) وأربعاً من تسبحة ( باركوا ) . والحد الأدنى للتكرار هو ثلاث مرات ، والاطوسط سبع ، أما الحد الكامل فاربعمون مرة بحسب الوقت والطريقة .

**القراءة :** وتكون القراءة في مطالعة العهد الجديد ، ولئن كانت النفس لا تشعر باديء ذي بدء بلذة من ذلك ، ولكنها تصوّر في المخيلة عوض التخيلات الجسدية تصورات روحانية فيتطهر العقل تدريجاً . ويجب أن يقرأ سبعة فصول يومياً ، أربعة من الانجيل أعني فصلاً من كل انجيل ، وفصلاً من أعمال الرسل ، وفصلاً من الرسائل الجامعة ، وفصلاً من رسائل القديس بولس . وعندما ينتهي القاريء من كل فصل يركع ثلاث مرات أمام الصليب الذي هو رؤية ربنا .

ورجلها ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ما تراه لا تحصى من روعة وجمال . . .  
 فانه من روعة . . .  
 ملكها انما . . .  
 حوت ويا لها من روعة وجمال . . .  
 كونه . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 حوت ويا لها من روعة وجمال . . .  
 انما حوتها . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .  
 ويا لها من روعة وجمال . . .

وينبغي ان توضع هذه الكتب على الكرسي . والذي لا يعرف القراءة فليتأمل في أعمال الله .

التأمل ، والتأمل أنواع ثلاثة :

الاول : - ان يتأمل الانسان في خطاياہ وفي انه ان لم يهدم نفسه لا يستطيع انه يبينها .

الثاني : ان يتأمل في عدل احكام الله وفي العذاب المحفوظ للاشرار ، وبهذا تقوى مخافة الله في قلبه . والثالث : ان يتأمل في فيض مراحم الله والسعادة المعدة للصالحين ، وهكذا يتردد شكر الله على لسانه ( وفرة واضعافاً ) . ويجول في مخيلته ، في العالم الروحي ، ويناجي بالروح ملائكة النور ونفوس الابرار .

## الفصل الرابع

### الصلاة وتقسيم اوقاتها

اذا كان موسى العظيم قد مُنع من الاقتراب الى العوسجة حتى خلع نعليه من رجليه ، فكيف يحاول الفكر ان يخاطب بالصلاة ذلك المتعالي عن كل حس دون ان يجمع من التشتيت ؟





ولئن يصعب على المرء جمع شتات الفكر باديء بدء ، ولكن بعد  
التدريب الصحيح وتذوق حلاوة الصلاة يسهل خزنه في اهراء القلب ، فيخاطب  
( هذا الانسان المخلوق ) ربه بصورة عجيبة ،

ولا يستدعي صفاء الصلاة اطالتها . كما جاء في الانجيل المقدس ما يلي :  
« حينما تصلون لا تكررُوا الكلام باطلاً كالامم فانهم يظنون انه بكثرة كلامهم  
يستجاب لهم » ( ١ ) .

وهذه هي الصلاة الفرضية : ان يقف المؤمن متجهاً نحو الشرق مكتوف  
اليدين ، ويجمع فكره ويقول ثلاث مرات : « قدوس انت ايها الاله »  
ويسجد في كل مرة ، ويرسم علامة الصليب على وجهه ، ثم يقول ثلاث مرات :  
« يا ربنا ارحمني » ويسجد في كل مرة ثم يقول « المجد لك يا ربنا المجد  
لك يا ربنا المجد لك يا رجاءنا الى الابد » . ثم ينتصب ويصلي الصلاة الربانية  
وهكذا تختم الصلاة .

وعدد الصلوات المحدودة سبع :

---

( ١ ) انجيل متى ( ٦ : ٧ )







الأولى هي صلاة الصبح وتقام عند طلوع الشمس وبعدها يقرأ المتوحد أربعة فصول من الإنجيل المقدس ثم ينشغل بطلبات ، وتأملات ، حتى تمام الساعة الثالثة . ثم يصلي الصلاة الثانية وهي صلاة الساعة الثالثة ، ثم يمارس أعمالاً يدوية - ( اتقاء شرور مفسد الفراغ ) - حتى الساعة السادسة . وان لم يكن له شغل يدوي فلينهمك بالدرس . وبعد ذلك يصلي الصلاة الثالثة اعني صلاة الظهر . وليأخذ قسطاً يسيراً من النوم حيث ان الاغفاءة القصيرة تساعد على احتمال السهر الطويل (١) أو تزيل عنه محاربة شيطان الكسل الذي يقهر المتوحد في مثل هذا الوقت ، اذ يتطلع الى الشمس باستمرار فتراءى له ثابتة ( والوقت لا يعبر ) . وبعد النوم ايضاً يقوم بعمل يدوي حتى الساعة التاسعة ويقرأ الفصول الثلاثة الباقية ، ثم يلزم الطلبة حتى غروب الشمس ثم يصلي الصلاة الخامسة اعني صلاة المساء ،

---

(١) الغزالي ج ١ ص ٢٨٠ من احياء علوم الدين « القيلولة وهي سنة يستعان

بها على قيام الليل » .



ويقضي بالطلبات والتأمل مدة ساعتين من الليل . ثم يصلي الصلاة السادسة اعني صلاة الستار ، ثم ينام . حتى نصف الليل ، حيث يصلي الصلاة السابعة ( وهي صلاة نصف الليل ) واذا استحوذ عليه النعاس فليتم (١) قليلاً وهو جالس حتى تمام الساعة العاشرة ، وبعد ذلك يستيقظ ويكثر من ذكر الله تعالى ( حتى الصباح ) .

## الفصل الخامس الترتيل والسهر

الترتيل : وهو ان يرتل المتوحد قبل كل صلاة من صلوات النهار الاربع ، وتكون قبل صلاة المساء ترنيمتان . وقبل صلاة الستار ترنيمة واحدة وقبل صلاة الليل اربع ترانيم .

**السهر** : تزداد ساعات السهر وتنقص بحسب طاقة المتوحد ، فكثيرون يسهرون ثلث الليل ، أعني ساعتين في بدئه وساعتين في نهايته ، وينامون مدة ثلثيه الباقيين . وبعضهم يقضون نصف الليل ساهرين ، ونصفه الثاني نائمين . واما من بلغ فيهم درجة الكمال مثل الاب ارسانيوس فانهم يسهرون منتصبين على اقدامهم حيث يودعون الشمس وهي تغيب وراءهم مساء الاحد ، ويستقبلونها تشرق امام وجههم في فجر اليوم التالي

---

(١) الغزالي في احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٨٤ « لا ينام ما لم يغلبه النوم » وقال ابن عربي « ولا تنام الا عن غلبة » .





ومما يعين على احتمال السهر تقليل الاكل ، وعدم التعب الكثير ، وأخذ قسط زهيد من النوم وقت الظهر . ولذلك وجب الا يحمل الجسد من المتاعب اكثر من طاقته ، لأننا لم نؤمر في ابادء الحياة بل في القضاء على الالهواء الرديئة . لذلك فمن يصب بتخمة كثرة العمل فليرح جسده ، ويستعد قواه ، ثم يرجع الى عمله ثانية . ان قوماً ( من المتوحدين ) يسجدون اربعين سجدة بعد صلاة الستار ، وبعضهم يفعلون ذلك بعد صلاة الصبح ايضاً . وينبغي ان يقرن الترتيل بالبكاء ، ووازع البكاء رقة القلب ، واضطرام النفس بمحبة الله . رأى احد المتوحدين نفسه في الحلم يرتم في حضرة داود بن يسي ، الذي قال له : يا للعجب كيف تعلمت الترنيم ، ولم تتعلم البكاء ؟ ولا يمكن ان يكون البكاء بدون فهم ( معنى الترنيم ) لذلك فقد قيل :

دع النفس تسبر عميق المعاني

وجانب قليلاً بحور الاغاني (١)

---

(١) التعريب نثراً كالتالي : تستدعي الضرورة الاقلال من الترانيم ، لكي تنصرف

النفس الى تفهم المعنى جلياً .







وللسبب نفسه فان بين المتوحدين من يقرأ المزامير كلها مرة واحدة في الاسبوع . ومنهم من يتلوها مرة واحدة شهرياً . واما الضعفاء فلا يقللون التريم مدفوعين بروح الفهم الواسع ، بل لتغلب شيطان الكسل عليهم ، وامثال هؤلاء ( يخدعون انفسهم ) فيظنون انه يكفيهم ان يرنموا المزمور القصير الذي بدؤه « سبحوا الرب يا جميع الشعوب سبحوه يا كل الامم » (١) ( ويررون موقفهم هذا ) بان رب الكرم انما ينظر الى الارادة الصالحة لا الى مقدار الانتاج ، وهو يعطي الاجرة ذاتها للفعلة الذين يستأجرهم في الساعة الحادية عشرة ، وللاولين الذين احتملوا حر النهار كله . ويتوهم عدد من غير المتبحرين من المتوحدين باعتقادهم ان تقديم القرابين على انفراد هو ضرب من ضروب العبادة ( الخاصة بالسيرة النسكية ) وغاب عن ذهنهم ان عبارات طقس القداس وضعت كلها بصيغة الجمع مثل : « كلما اجتمعتم بأسمي » و « امامك طأطأ عبيدك رؤوسهم » وكثير سواها فلا يصح ان يتلوه الا مجموع من الناس .

---

(١) المزمور ١١٧



## الفصل السادس الصوم

ان الابخرة المتصاعدة من كثرة المأكولات الدسمة تعمي البصيرة وتصددها عن مشاهدة شيء روحاني ، فبالانقطاع عن ( هذه المأكوت ) تنجلي مرآة العقل وتصير ملائمة لانعكاس الصور الروحية عليها .

والصوم درجات ثلاث ، فهو عام ، وخاص ، وخاص للغاية . أما الصوم العام ، فهو ان يمتنع الانسان قطعياً عن الاكل والشرب النهار كله كعادة المشاركة ، أو يمسك عن اكل لحوم الحيوانات ومنتجاتها فقط وذلك نهاراً كعادة المغاربة . كما ويأكل المشاركة الحبوب والبقول مساءً . أما المغاربة فانهم يفعلون ذلك نهاراً . وللصوم العام قوانين ، فبعض الناس يعزم على الصوم صباحاً ، لانه قد يمتنع الكثيرون عن الطعام عرضاً فلا يعدون بين الصائمين . ( أما الصائم ) فيجب ان يحترز من زلق ادخال أي نوع من الاكل والشرب في فمه ، وان لا يستفرغ الا اذا كان مريضاً .



مرموزة في وجه ويكتبها المصنف من وجهه ويشبهها. وجهه  
 حمراء في وجهها او قهرا من وجهه او مستحيا من وجهه.  
 هـ كذا في وجهه المصنف. حـ مرموزة من وجهه  
 اكلها. هـ اقله كذا من وجهه مرموزة في وجهه.  
 هـ هجينة هـ مرموزة من وجهه او قهرا من وجهه.  
 هـ مرموزة المصنف ويكتبها المصنف من وجهه او قهرا.  
 وجهه حمراء في وجهه او قهرا او قهرا من وجهه  
 مستحيا من وجهه او قهرا من وجهه او قهرا من وجهه.  
 حمراء او قهرا او قهرا او قهرا من وجهه او قهرا  
 ووجهه. حـ كذا في وجهه او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 حمرها من وجهه او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 هـ حمرها من وجهه او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 ويحمرها من وجهه او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا ..  
 هـ هجينة او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 حمرها او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 حمرها او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 حمرها او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 حمرها او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا

٤ - ق - د - د - ماطلا  
 ٩ - ا - حمرها او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا  
 - ا - حمرها او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا او قهرا

وأما الصوم الخاص فهو صوم المتوحدين ، ويقترن به الانقطاع عن الطعام بصوم الحواس عن الحركات المسببة للأثم . ولهذا الصوم أيضاً قواعد وهي منع العينين عن النظر الفاسد ، وإلجام اللسان من الكلام الباطل ، وإصمام الأذن عن سماع الكلمات الرديئة . أما الصوم الخاص للغاية ، فهو صوم الكاملين الذين يقرنون الصوم عن الطعام وصوم الحواس بصوم النفس عن الأفكار الرديئة . والشرط الوحيد لهذا الصوم هو استئصال كل فكر دنيوي من أعماق القلب . ولئن كان بلوغ هذه الدرجة صعباً جداً لكنها تسهل بالتمرين كما قيل :

والنفس راغبةٌ اذا رغبتَها      واذا تُردُّ إلى قليل تقنعُ (١)

جاء في قوانين الرسل الامر التالي : كل من يصوم يوم الاحد أو السبت ما خلا سبت البشارة ، ان كان الكيريكيا يجرّد من رتبته ، وقرر اباء مجمع غنغرا ما يلي :

---

(١) ذكر هذا البيت في مغني اللبيب ج ١ ص ١٤٧ وهو لابي ذؤيب الهذلي أحد الشعراء العرب المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية ثم أدركوا الاسلام ، رأينا انه يلائم البيت السرياني الذي استشهد به الكاتب فادرجناء أما تعريب البيت السرياني نثراً فهو كالتالي : ان الطبيعة سهلة وقابلة للتغيير ومهما عصيتها فبما كانها ان تتحمل .







من يصم يوم الاحد اعتقاداً منه ان ذلك يفيد من باب النسك فليحرم  
أيضاً . لذلك فعلى المتوحد ان يحل صومه ولو بفتات من الخبز يسير في الساعة  
الثالثة في يومي الاحد والسبت ، وبعد ذلك يتناول طعامه عند المساء « وليفعل  
هذا لا لان الأكل واجب انما طاعة للوصية » (١) .

## الفصل السابع عمل اليدين

اثبت العارفون ان عمل اليدين نافع جداً . فعندما استحوذ الملال على  
الاب انطونيوس ظهر له ملاك جالساً يضفر الخوص ، ونهض الملاك من العمل  
وصلى ، ثم جلس واشتغل ، ثم نهض وصلى ثانية ، وقال لأنطونيوس افعل انت  
ايضاً هكذا يا انطونيوس فتحيا . قال الاب اثير للاب انيسطيون صفر بطنك  
واكثر من عمل يديك . وقال آخر لا تأخذ من احد حسنة ، بل لتكف يداك  
حاجتك . اما الجواب لمن يقول انه ينبغي لنا ان لا نشتغل لان الرب قد امرنا  
ان نتشبه بطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ، وبمريم التي لم تشتغل وقد  
فضل عملها على عمل مرتا التي كانت منهمكة بامور كثيرة ، فهو ان هذه الاوامر  
انما تصلح فقط للكاملين الحائزين على كمال العبادة الروحية ،

---

(١) عرّبت هذه العبارة عن طبعة الدولباني

فتب و كسا ذه سلا كسح . . . سب ما وجه  
معه ملك لا حيا . حب شعاق قرا او فقه  
ده ملك حمله لا فكة . ملكه كصف  
له حيا او نكل سلا و بعد نعد مع حيا  
حون و حة مع قلم سلا . حنرا اول  
كسلا و حة ابل مع مسته سلا الا ملكا  
مدا معدا فلك سلا كة كة او حلا او  
مكسلا لا با حة . . . عدا و بكتسا تقنا زيب  
. . . ماتا حة حة او حة او حة او حة  
و حة او حة او حة او حة . . . حة او حة  
سب ما و لا بلف حة حة او حة . . .  
سب ما الا نسا حة حة . . . حة او حة  
و حة لا بحد او حة . . . حة او حة  
حة حة حة حة حة حة حة حة حة  
بكتسا او حة حة حة حة حة حة حة  
مع حة حة حة حة حة حة حة حة  
و حة حة حة حة حة حة حة حة

واما المتوحد الذي لم يملك ذلك بعد فلا يليق ان يطيل المكوث في الصومعة دون عمل لئلا تسيطر عليه الالهواء والشهوات التي تنتج عن البطالة . فالرسول بولس الطوباوي مثلاً لم يأكل من اهل تسالونيكي خبزاً بالمجان ، في الوقت الذي كان يحق له ان يعال من الشعب لأنه كان مدبرهم ، اما هو فقد كان يشتغل بنسج الخيام ليلاً ونهاراً لكي لا يثقل على أحد (١) وكذلك كان سائر الرسل يصيدون الاسماك . وكان بعض الاخوة المتوحدين يحصدون مع الفلاحين ، وآخرون ينسجون الزنايل والحصر .

وعلى المتوحد الا يطري محاسن ما يبيعه ، بل يظهر عيوبه ولا يخفيها . والا يتقاضى عنه ثمناً اكثر مما يستحق ، وعليه ان يبيعه للفقراء والمعوزين . أما الاكليروس فيسمح لهم عدم العمل اليدوي . فقد كتب « أو لا تعلمون ان الذين يعملون في الاشياء المقدسة من الهيكل يأكلون ، والذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح » (٢) .

---

(١) سفر أعمال الرسل ( ٢٠ : ٣٤ )

(٢) رسالة الرسول بولس الأولى الى أهل كورنثوس ( ٩ : ١٣ )





وان كان يحق للآباء الروحانيين ان تسد حاجاتهم من ابرشياتهم ، ( فاناً نرجح ) أن من الأوفق لهم الا يأخذوا شيئاً من احد . وهنا لا يسع المؤلف الا ان يعترف بذنبه قائلاً :

عجبي يا قومُ أهدي معشراً      وابداهمُ بما لا اعلمُ  
اعظ الوعظ واتي ضده      ثم احو ما يخط القلمُ  
ارشد الناس الى درب الهدى      وعن الأثم يدي لا تحجم (١)

## الفصل الثامن الغربة

الغربة نوعان ، جسدية وروحانية ، اما الجسدية فهي انتقال الانسان من من ارض آبائه الى بلد غريب ، واما الروحانية فهي انتقال فكري من عالم الفساد الى ملكوت السموات حيث يقم الملائكة .  
وسحقاً لغربة جسدية ان لم تكن غايتها تجنب خسارة نفسية ، وطلب فائدة روحية . والخسارة النفسية على اربعة انواع ، فالأول الاضطهاد الذي يثار من أطلا الايمان (٢) . والثاني شكوك الاخوة .

---

(١) وتعريبها نثراً كالتالي : أعلم ولا اتعلم ! ؟ ، أكتب ويدي أحو ما كتبه ؟ ! .  
أعظ ولا اتعظ بما اعظ به ؟ أو أرشد وأنا اتغاوي بالخطأ ؟ .

(٢) الغزالي في احياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٠٠ « كمن يدعى الى بدعة قهراً »



مَدَا وَلَا يَحْتَسِبُ بِهِ حَيْثُ لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ وَلَا يَحْتَسِبُ  
 وَيَتَكَلَّمُ بِمَا كَفَرَ بِاللَّهِ فِي سَكْرَاتِهِ لِيُحْسِبَ أَنَّ  
 حَالَهُ لَا يُحِيطُ بِهِ بِجِاسِرٍ إِذْ يَخْرُجُ مِنْهَا  
 لَا يَحْفَظُ مَا قَالَتْ مِنْ ثَمَرٍ مُضْتَرٍّ وَلَا هُوَ  
 حَاتِرٌ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
 هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي آلِ مُوسَى آيَاتٌ إِذْ أَخَذْنَا  
 مِنَ النَّاسِ عَهْدَ أَنْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ  
 فَأَنكَرُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَهُمُ الْكَاذِبُونَ  
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَرْشُ رَبِّكَ أَلْتَأْتِيكَ  
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ خَيْرًا مِمَّا  
 يَدْعُونَ فَتَكَلَّمْ لَهُمْ قَوْلًا مَقْصُودًا  
 لِيُذَكِّرُوا الَّذِي حَسَنُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ  
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَرْشُ رَبِّكَ أَلْتَأْتِيكَ  
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ خَيْرًا مِمَّا  
 يَدْعُونَ فَتَكَلَّمْ لَهُمْ قَوْلًا مَقْصُودًا  
 لِيُذَكِّرُوا الَّذِي حَسَنُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ

١ : - أ - وَلَا يَحْتَسِبُ  
 ٩ : - ق - وَ - د - مَا يَأْتِيهِ وَلَا يَحْتَسِبُ



في حالة عدم تمكن المتشكك المرتاب ان ينقي نيته . والثالث : عندما يحصل المتوحد على الثناء الجزيل ويشتهر في مكان سكناه ، (١) وبهذا الصدد يوصي الاب اوغريس قائلاً : اهرب من صومعتك اذا كانت مطروقة . والرابع : اذا كان الاخ يحارب من رذيلة الزنا في المكان الذي يسكنه (٢) .  
واما الفائدة الروحانية فأنواعها ثلاثة ، الاول : قدر ضروري من العلم (٣) الثاني زيارة الفضلاء ، والثالث التبرك من الاماكن المقدسة . هذه هي الاسباب الموجبة للغربة . اما الغربة التي لا تكون لسبب من هذه الاسباب ، بل تكون غايتها التنزه ، أو الهرب من ضيق الصومعة ، أو من الفقر أو من الالهانة التي يلقاها المتوحد في وطنه ، فتعتبر غرته إثماً ، والمعرض عليها ابليس المضل ، الذي يوسوس في عقل المتوحد ويجعله يتنقل من مكان الى آخر ، ويظهر له باديء بدء العشرة وكأنها خالية من الهوى ، ثم يوقعه ضحية بيد ابالسة الزنا ، أو الغضب ، أو الكآبة أو اليأس .

---

(١) احياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٢٠٠ « كمن ابتلى في بلده بجاه »

(٢) فيه ص ٢٠٠ « أو خوف سببه فتنة »

(٣) فيه ص ٢٠٠ « القسم الاول السفر في طلب العلم »



لذلك وجب على من يذهب لزيارة بعض الابهاء ان ينهك بذكر الله طيلة الطريق ، وان يصلي صلواته كلها . وعندما يمر بقرية أو مدينة فليقصد البيعة اولاً (١) ولا يُقْمُ هناك اكثر من ثلاثة ايام . واذا ما وصل صومعة الاب الذي قصد زيارته ، فلا يقرع الباب بل ليجلس حتى يشعر ذلك الاب بوجوده ، فيدعوه ، حينذاك يتقدم اليه بتواضع ، ويقرئه السلام بدعة ، ويجب الا يتكلم ما لم يُسأل . وبلطف يؤدي جواب السؤال فقط دون زيادة . واذا رغب في شيء فليطلبه بأدب . ويجب الا يمكث عند « الاب » اكثر من يوم واحد ، وان سأل عن حال بلده فليقص عليه اخبار الابرار والفضلاء الموجودين فيه ، ولا يذكر كثرة بساتينه واشجاره وخصب ثماره وفواكهه ، لئلا يُعَيَّرَ بمحبة التنزه والشرافة .

ويعتبر العارفون النوع الثالث من فوائد الغربة باطلاً . ويقولون :

---

(١) قال القشيري ص ١٥٣ « سمعت الكتاني وقد قال له بعض الفقهاء

أوصني قال اجتهد ان تكون كل ليلة صيف مسجد »





ان القوة الالهية الحالة في عظام القديسين تصل الى كل مكان ، لذلك عندما استأذن تلميذ من شيخه للذهاب الى اورشليم ، اجابه : انك تفضل يا هذا ، فالجميع يحاولون الصعود الى اورشليم السماوية ، اما انت فالى اورشليم الارضية . وقد قال السيد المسيح « انه تأتي ساعة ، لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للاب ... الله روح والذين يسجدون له فيالروح والحق ينبغي ان يسجدوا » (١) فأمكث اذن في صومعتك ، واجتهد ان ترى في داخلك من هو قريب من كل انسان (٢) .

## الفصل التاسع الاهواء الرديئة

لا بد ان نتكلم الآن عن الاهواء الرديئة التي تصيب المتوحد في الصومعة وعليه ان يتخلص منها ، وقد سبق ذكرها في الفصل الاول من الباب الثاني وهي : **الضعف** . تحمل الشياطين المتوحد على اتمام الصلوات الفرضية رغماً عنه في ظروف لا يتمكن فيها من انجاز ذلك ، ففي الوقت الذي يكون التعب قد هد حيله ، يتصب ويرتل فتضيق نفسه بالتعب ذرعاً ويشابه من يستقي ماء ويصبه في زق ممزق .

---

(١) انجيل يوحنا ( ٤ : ٢١ و ٢٤ )

(٢) المزمور ( ١٤٥ : ١٨ )







وكان الأجدر به في حال كهذه ان يعطي نفسه قسطاً من الراحة .  
ويستعيز عن الاتعاب الجسدية باعمال روحية . لأن كثيرين قد انجزوا اعمالاً  
( جسدية ) عظيمة ولكنهم لم يدركوا ( الكمال ) في طريق الله لأنهم لم يعملوا  
تلك الاعمال بالحكمة .

**المراهة :** وعلاجها التجويع ، فبه يتنقى العقل ويبلغ الانسان ذروة  
الذات الروحية ، فتتضع النفس ، وتخمد الشهوات ، وتخف وطأة النعاس (١)  
اما تقليل نسبة الطعام فيكون تدريجاً ، أي من كان رغيغ واحد يسد رمقه في  
اليوم الواحد ، فلينقص جزءاً من ستين من الرغيغ يومياً ، وهكذا بعد شهر  
يكفي بتناول نصف رغيغ دون ان يلحقه أي ضرر . فان قوماً من المتوحدين  
يأكلون رطلاً بابلياً من الخبز يومياً ، وغيرهم ثلثي الرطل وآخرين نصفه . واكثرهم  
لا يأكلون الا مرة واحدة في اليوم ، وبعضهم يتناولون طعام العشاء فقط وذلك  
مرة في كل يومين ، وآخرون لا يأكلون الا يوم الاحد . ويمتنع الزهاد عن  
أكل البيض ، والحليب ، والجبن والسمك . ويتعرض الناسك في هذا المضمار  
الى تجربتين :

---

(١) قال ابو طالب ( ١ : ٩٨ ) « لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا

كثيراً »



الاولى : شهوة الطعام التي قد ترغمه على ان يضحى بنسكه ، والثانية شهوة المجد الباطل التي تحرضه ليعلم فضيلته تفاخراً . فاذا قهرته هاتان الشهوتان ، فانه يتناول من الطعام خلسة ما لا يتاوله علناً ، ولا يتمثل للشفاء الا اذا حل نسكه ، وتناول من الطعام ما لا يسد رمقه .

الاغترام : يحرض شيطان الزنى المتوحد على التطلع على عورته ، ولفظ كلمات الفحشاء ، واستماع جوابها باهتمام . ويوهمه كأنه يتم ذات الفعل ( القبيح ) فعلاً . فيلمس جسده ويدغدغه وهكذا يتخاذل وينخدع حتى يبلغ الشبق الدنس . ولا يشفى من يصاب بهذا الداء الا بالتجويد المستمر ، وعدم معاشره النساء والصبيان ورؤيتهم . قال الاب امون : كنت صيباً بعد عندما اتيت الى البرية فطر دني الاب فغنوطيس البسيط قائلاً : اني لا اسمح لوجه صبي شبيه بوجه المرأة ان يسكن الاسقيط (١) . وقد قال القديس باسيليوس

---

(١) الاسقيط : كلمة يونانية « اسقيطيس » بمعنى الناسك أو الراهب ، اطلقت على البرية التي يتسك بها العباد ، الواقعة في منتصف الطريق تقريباً ما بين القاهرة والاسكندرية في مصر ، من ناحية غرب دلتا النيل ، وتدعى اليوم ( وادي النظرون ) كما تسمى كنياً الاسقيط .





إذا ادعى امرؤ أن معاشرته النساء لا تضربه فهو إما أن يكون ليس برجل  
وإما أنه لا يشعر بتأثر من المغريات . ويستثنى من ذلك الكاملون الذين مثلما  
لا تؤثر فيهم مناظر الكواكب الوهاجة في السماء ، والأزهار النضرة في الأرض ،  
كذلك لا يراود قلوبهم فكر ائيم لدى رؤيتهم وجهاً بهياً ، وجمالاً فتاناً .  
ومن ينل الشفاء من هذا الداء يتأثر أولاً من « اعراض » الحركة الطبيعية  
والسيلان دون تصورات الجماع . ثم يشعر بالحركة الطبيعية دون التصورات  
أو السيلان ، وعندما يتم شفاؤه تزول « اعراض » الحركة الطبيعية بزوال  
الأفكار الاثيمة .

**الغضب :** إذا كان خصم الإنسان أضعف منه قوة ، يضطرم سعيه غضبه  
ويغلي دم قلبه وتحمر وجنتاه . وإذا كان خصمه أشد قوة منه ، يحتقن الدم  
في كبده ويمتقع وجهه ، ويحول الغضب إلى خوف .





والاسباب المساعدة على الغضب هي الكبرياء والخصام والطمع . ويعالج ذلك كله بقول الرب « تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب » (١) وبقول الرسول بولس « لا تقرب الشمس على غضبكم » (٢) وبكره الانسان الجنون الارادي الذي ينتج من الغضب ، اذ ان اعضاء جسمه ترتعش ، ولسانه يتلجلج ، وفمه يزبد . واذا لم يتمكن من الانتقام من خصمه يلجأ الى الشتم ، ويؤذي نفسه بنفسه ، ويمزق ثيابه ، ويضرب على الارض ، ويضرب القصة بالحجر ، ويكسر مائدة الطعام ، ويلعن البهائم وقد يرفضها ان هو ادركها ، وبعض اذنها ، ويجر ذيلها ، واذا ما وبخه أحد على سوء عمله دافع عن نفسه بكبرياء قائلاً : اني لا اتمالك نفسي عندما أرى ما لا يليق ، أو أسمع ما لا ينفع .

**الحقد** ، ينشأ الحقد من الغضب ، ومتى نما يولد منه بنون ثمانية ، وهي ان يحسد الانسان من حقد عليه ، ويبغضه ، ويفرح لمصائبه ، ويغتابه ، ويسمى في ضرره .

---

(١) انجيل متى ( ١١ : ٢٩ )

(٢) رسالة الرسول بولس الى اهل افسس ( ٤ : ٢٦ )



وازالة ربحه ، ويحتقره ، ويشتمت به ، وقد قال أحد الابهاء : من كان في قلبه حقد وادعى انه تائب يشبه من يرى نفسه في حلم كأنه يعدو ويظن ذلك حقيقة . ويعالج الحقد باخماد سورة الغضب ، واكرام الخصم ، كما قال اوغريس الكبير : ان يعقوب قد استرضى عيسو بالهدايا ، أما نحن الفقراء فنقضي هذه الحاجة بمائدة بسيطة .

**الحسد :** لا يحسد المرء الا من كان اكثر منه فضلاً . والحسود الشرير هو من رأى نعمة عند غيره وساءه وجودها لديه ورغب في زوالها عنه . أما اذا كان يشاق ان تكون له النعمة ذاتها التي عند غيره فهو غابط غيور صالح . فان الحسود هو من يبغض رفيقه ولا يريد ان يكون مشابهاً له أو أعلى منه رتبة ، والذي يتمنى ان تكون نعمة غيره له وحده والذي يرغب ان يكون وحيد دهره بمفرده . ويتلظى بنار الحسد أيضاً الانسان المتمرغ بالشهوات الذي لا يحب العلم ولا الزهد .





فيحزن عندما يرى غيره يتعلم أو يتسك . ويعالج الحسد بمعرفة الانسان ان الحسد يكون مصدر حزن للحسود وزيادة فرح للمحسود بالنعمة التي قد نالها وحده دون غيره .

الذات : اذ يتمتع الانسان بالذات في هذه الحياة الفانية تصده عن الاستعداد للحياة الابدية . وتقسم الذات الى ضرورية ، كالكسوة ، والقوت ، واتخاذ زوجة ، واقتناء دار . والى طبيعية كالاهل والعشيرة . والى حب الامتلاك كالرئاسة والمال ، والعبيد ، والجواري ، والبساتين ، والاراضي . كما قال الأب فومن حتى ان الحكمة غير المقترنة بالاعمال الصالحة تعتبر من جملة الذات المذكورة أعلاه ، وكذلك التعليم الذي يمارسه المعلمون الذين لا يهمهم أمر خلاص تلاميذهم بل يقصدون من تعليمهم سلب دراهمهم . والخلاصة كما ان الانسان لا يتمكن من رؤية صورته في الماء الكدر ، هكذا أيضاً ، لا يتمكن العقل ان يرى ذاته متحدة بربه ان لم تتطهر مرآة نفسه من الذات .







حقاً ان الانسان في هذا العالم ، يشبه امرءاً يرى في حلمه لذة ، وأماً ،  
وعندما يستيقظ لا يجد من ذلك شيئاً

**الطمع** : لو تبين المرء ما ينتج عن الغنى من اضرار ، لما تكالب على جمع المال . واضرار الغنى هي ما يتعرض له جامع المال من غدر السلاطين ، والسراق ، والغزاة ومكائدهم جميعاً . وحسد الاصدقاء ، وما يتأتى من الغنى من الافعال الشريرة ، مثل الشراهة ، والفجور ، والمجد الباطل ، ( هذه الرذائل ) التي يتولد منها الكذب ، والظلم ، واهمال ممارسة الاعمال الروحية . لان محب المال ، كما يقول الكتاب ، لا يستطيع ان يعبد ربين ( ١ ) . ومتى استقرأ الانسان علة وجود المادة ، يجيبه الرأي الملائكي قائلاً : لاجل حاجة العيش الماسة ، ويجيبه الرأي الشيطاني ويقول : لاجل التبرج والتنعم : أما الطمع فيعالج بتقليل المصروف ، والاكتفاء بما يرزق به الانسان ، وبمقايسة تنعم الاغنياء الوهمي بكرامة المتجردين العظيمة ، وبتطلع المرء الى من هو ادنى منه ، لا الى

---

( ١ ) انجيل متى ( ٦ : ١٤ )



من هو أعلى منه .

**المجد الباطل** ، حبة المجد الباطل هي الرغبة في نيل المدح باظهار فضيلة ما ، لذلك يهتم المراؤون باكتسابه بممارسة أعمال النسك الصعبة كذباً . وقد لا يهتم قوم منهم بالمديح ، ولكنهم متى مدحوا فرحوا (١) ، ومنهم من اذا ما مدحوا يحزنون (٢) ولكنهم يلزمون جانب الصمت ، ولا يدفعون المديح عنهم ومنهم من يهرب من المكان الذي يمدح فيه . وأما الكاملون فانهم يغتاضون ويخطئون مادحيهم . ومن الناس من اذا أحتقروا يحزنون ، ولكنهم لا يحققون . ومنهم من يعتبرون الاهانة مجداً . ومنهم من يحبون كل من يعيرهم لانه كشف لهم عيوبهم فصار سبباً لشفائهم ،

---

(١) جاء في احياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٢٢٨ « وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله »

(٢) قال ابن عطا الله ( ١ : ١٠١ ) « المؤمن اذا مدح استحيا من الله ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه » .





وتعالج محبة المجد الباطل بان يمارس الانسان الاعمال التي يُعتبر بممارستها  
ساذجاً ، وتقلل من كرامته لدى الناس ، وان يكون كالميت ، لا يفرح لمديح ،  
ولا يحزن لاهانة . وان يعمل ( الصلاح ) بالخفاء ، ويظهر للناس كواحد منهم  
كان أحد الفضلاء يقول لمادحه : لو كانت معرفتك بي مثل معرفتي بنفسي لما  
مدحتني (١) .

الرياء : الرياء هو التضليل باخفاء ما قبح من الباطن واطلاق الفضائل  
الظاهرة ، كما يفعل الذين يغلظون ركبهم متظاهرين بأن ذلك انما حدث من  
كثرة الركوع . والذين يرقعون البستهم ، ويتمنطقون بحبل في احقائهم ، ويمزجون  
بأصواتهم رنة حزن وحسرة . ويصمتون ، في الوقت الذي يفكرون بالشر في  
قلوبهم . ويكثرون لهم المادحين ، ويخدعون البسطاء الذين يقصدونهم للتبرك منهم  
وللسؤال عن مستقبل ايامهم

---

(١) جاء في احياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٢٢٩ ما يلي :- « خرج ابن مسعود  
يوماً من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال : علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه  
بابي ما اتبعني منكم رجلاً » وقال ابن عطا الله « الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن  
أنت ذمّاً لنفسك لما تعلمه منها » .





اما علة الرياء فهي اما الحصول على الكرامة ، واما ربح المادة . ويعالج برفض الميل الى المدح ، وفرح المتوحد بما يصيبه من التعيير . ويأسه من الفوائد التي تجتني من الناس فقد قال الاب دانيال ، نطلعت الى باب صومعة الاب فومن ، فرأيت جالساً على الارض ، ولما رأيت نهض حالاً وجلس على الحصى ويعلم الفضلاء اعمالهم ( الحسنة ) احياناً ، وذلك عندما يتأكدون بان تلاميذهم سيقتدون بهم ، كما قال الاب مقريس للاب اوغريس : « انني لم اشبع خبزاً ، ولا ماء . ولا نوماً ، مدة عشرين سنة » .

**الكبرياء** : الانسان بطبيعته ، يرى نفسه أعلى مقاما من سواه فقد تكبر فرعون على الله ، اذ قال ، ان النيل ينخصني وانا أوجدته ، وتكبر على عبيد الله مضطهدوهم . وتعجرف الجهال عناية على رفاقهم اذ يرون ما لهم من محاسن .  
نقصاً في الآخرين



وعلة الكبرياء هي الافتخار والحقد والحسد ، فهذه ( الصفات الرديئة ) تمنع الانسان من ان يتضع لرفيقه ، أو يساوي نفسه به . وعلامات الكبرياء هي عجة التزين ، وركوب المطية ( للتبرج ) ، والرغبة بالتحية في الاسواق ، والتصدر في مجالس الولايم ، ولا يمشي المتكبر منفرداً . ولا يزور من هو افضل منه ، ويشمئز من المصابين بالجذام والاستسقاء والقروح . ولا يعمل بيده عملاً ما ، ولا يحمل حاجياته بنفسه بل يحملها عنه سواه . اما علاج هذا الداء فقد ذكرناه في فصل التواضع .

### الافتخار .

وهو ان يتعجرف المرء ( ويشمخ على غيره ) بما ناله من نعمة ، أو علم ، أو اعمال سالحة ، أو جمال ، أو غنى ، أو بأس او حسب ونسب ، أو عقيدة يظنها مستقيمة . اما الفرق ما بين الكبرياء والافتخار فهو ان الكبرياء تحصل بمقايسة الانسان ذاته مع غيره ، بينما الافتخار يكون بدون مقايسة .





وكمقارنة الطفل بالرجل كالمقارنة ما بين الافتخار والكبرياء . ويعالج الافتخار عندما يعرف الانسان ، ان كل ما ( يظن انه ) له من كمال انما هو هبة من الرب ، لذلك عليه ان لا يفتخر واذا افتخر ، « فليفتخر بالرب » (١) سمع الاب فومن مرة أحد الاخوة يقول : انني لم ادخل القرية سنين عديد ، فقال له : لو كنت قريباً من القرية لدخلتها ليلاً ، ولدت فيها لئلا يراودني فكر الافتخار إذ لم ادخلها .

التبكوت واصلاح الآخرين : وهو من اختصاص الرعاة لا المتوحدين إذ ان واجب هؤلاء ان يهتموا باصلاح ذواتهم . قال الاب فومن اذا رأيت أخاً يقترف الخطيئة لا الومه ، واذا ما لامني ربي اقول له : انت علمتني قائلاً : اخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً ان تخرج القذى من عين اخيك » (٢) .

## الفصل العاشر السجايا الحميدة

ان الفضائل التي تؤهل النفس الناطقة الى الفرح الروحاني يوم ينفلق الفجر ويشرق الجميل ،

---

(١) رسالة الرسول بولس الاولى الى اهل كورنثوس ( ١ : ٣١ )

(٢) انجيل متى ( ٧ : ٥ )





ذكرنا عددها ( في الفصل الاول من الباب الثاني ) وهي كالتالي :

العلم ، الشغف بمحبة العلم من اقدر الوسائل لأستئصال العادات الرديئة من النفس ، وطالب العلم ( الديني ) ليبدأ بدراسة سفر المزامير ، ثم ليتدرج فيدرس اسفار العهد القديم . فالعهد الجديد ، ثم يتشقف بكتب العلماء الذين قد لخصنا آراءهم في هذا الكتاب . وبذلك يتمرس الطالب على ترتيب حاجات جسده ، فيروضه بتمارين قاسية عنيفة . ويستأصل من اعماق نفسه العيوب الدنسة ، غارساً مكانها العادات الحميدة ، واذا احتاج الى معلم فليكن معلماً صالحاً . ومن علامات هذا ، ألا يكون منقاداً للشهوات (١) ولا محباً لمجالسة الرؤساء ، ولا سريع الجواب . ويعام باعماله اكثر من اقواله ، ويعلم أولاً الامور التي ينبغي تجنبها ، ثم الاعمال التي يجب القيام بها .

الايمان . على حد قول الرسول السعيد بولس هو : الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى (٢).

---

(١) قال ابن عطا الله ( ٢ : ٦٤ ) « ولا بد للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تهذيب نفسه وتخلصه من هواه فليسلم نفسه اليه . »

(٢) رسالة الرسول بولس الى العبرانيين ( ١٩ : ١ )



ومن الواضح ان هذا التحديد يناسب كل ايمان . ومتى اردنا ان نحدد  
الايمان بصورة خاصة بالنسبة لنا « كمتوحدين » فالتنا نقول : ان الايمان هو  
موافقة النية لتعليم الانجيل ، ويتم ذلك باقرار اللسان وحفظ الوصايا ، وبما  
ان من يعاصرنا من المسيحيين كافة متفقون على صحة ( صورة ) الايمان الذي  
قرر في مجمع نيقة ( ٣٢٥ م ) فعلى المتوجد ان يتمسك به وحده ، ويتجنب  
الجدل في موضوع الطوائع والاقانيم . ان المتوحدين الحقيقيين يتحدثون في  
( كيفية ) السلوك فقط ، ولا يتجادلون في موضوع الايمان ابداً .

الشكر . هو عرفان الجميل على نعمة منحت أو يرتجى تقديمها ، وسبب  
الشكر معرفة الانسان مقدار هذه النعمة ، ونوعيتها . وعلى قدرها يحمد مقدمها  
وتكون النعمة اما حقيقية ، واما مجازية . اما الحقيقية : فهي التي تطلب لذاتها ،  
كالنعيم الابدي في العالم الروحاني ، أو تطلب من أجل غيرها كالمعرفة الحقيقية .  
والعمل الصالح اللازمين لأجل النعيم الابدي .





كذلك النعمة المجازية فهي : اما ان تطلب لذاتها كالحياة ، والقوة ، والصحة والجمال ، واما لأجل غيرها كالشرف ، والغنى ، والاقارب ، والخدم ، وكل ذلك ضروري لسنة الحياة . واذ ان عرفان الجميل هو سبب الشكر ، فنكران الجميل هو سبب الجحود (١) ، فالكثيرون الذين لا يقدرّون نعمة الهواء مثلاً لا يحمدون الله لأجلها ، فاذا ما صند الهواء عنهم ، وكادوا يخنقون ، ثم عاد اليهم ثانية ، يعرفون عظم هذه النعمة ، ويشكرون الله لأجلها . والفضلاء يحمدون الله حتى ابان الشدائد ، لعلمهم ان قد تعرض شدة اعظم من التي نزلت . لذلك يشكرون الله الذي دفع عنهم ما كان اعظم ، ويحمدونه ايضاً على ابتلائهم بشدة زائلة وخلصهم من شدة دائمة .

**الرجاء .** الرجاء هو رغبة النفس لنيل ما هو محبوب لديها ، وبما ان المحبوب الحقيقي هو السرور الدائم ، فعلى الانسان ان يعد وسائله اولاً ، وهي

---

(١) قال ابو طالب ١ : ٢٠٨ « وأصل قلة الشكر الجهل بالنعمة » .







قناعة الرزق ، وزهد الجسد ، وطهر القلب ، وكرم النفس ، وبعدئذ يتوقعه .  
ويقوى الرجاء اذا ما افكر الانسان وقال ، ان كان الله قد أعدّ خيرات لا  
تحصى لأجل قوام الجسد الذي يفسد ويبيلى ، فكيف يمنع خيراته عن النفس  
التي هي افضل من الجسد ؟

**خوف الله .** هو حزن القلب لدى معرفته الضيق الآتي ، (١) ومصدر  
الخوف علم الانسان بذنوبه ، وتظهر علاماته في الجسد كأمتقاع الوجه ، والجسم  
النحيل ، وتبين علاماته في النفس ، ببغض الخطيئة . والضيق نوعان جسدي  
ونفسي ، ويحتقر العارفون الخوف من النوع الاول اذ يقولون « لم نأخذ روح  
الخوف » (٢) ولهذا يجب ان لا تجزع ولو التصقت السماء بالارض . اما  
الخوف من النوع الثاني من الضيق ، فالعارفون يمدحونه قائلين : ان الذي لا  
يخاف الله ، يخاف من ظل جسده مرات عديدة ، واذا اشتد الخوف في الانسان  
يحذره حتى من اتيان اعمال كثيرة غير أئيمة .

**الفقر .** يجعل العارفون الفقر المقترن بفضيلة الاحتمال اكثر من الغنى

---

(١) قال الغزالي في كتاب احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٣٤

« اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه » .

(٢) رسالة الرسول بولس الى أهل رومية ( ٨ : ١٥ )



مع الرحمة .

ويقولون : ان درجة المتوحدين لاعظم من درجة صانعي الصدقات ، وهذا القول هو بخلاف رأي أهل الدنيا . فالمسكين الذي يستحق الطوبى التي أعطيت في الإنجيل ، هو الذي يحتمل الفقر دون تدمير ، ويكون عزيز النفس غير ملاق ، واذا كان بإمكانه ان يسد حاجته دون سؤال فلا يسأل ابداً . وان فضل لديه شيء فليعطه للمحتاجين . ولا يأخذ شيئاً من الظالمين والمتكبرين ، وعندما يرى غيره أشد احتياجاً منه ليفسح له المجال للأخذ أولاً . واذا كان قادراً على العمل فلا يأخذ من أحد شيئاً (١) . ويجب على من يعطي الصدقة ان يقدمها قبل ان يسأله أحد ذلك . ليفعل هذا خفية جهد إمكانه ، اذ يضع ما يتصدق به في يدي أعمى ، أو يلقيه في طريق الفقير ، أو يشده بثوبه . وان تكون الصدقة من الرزق الحلال ، وان يعطي لمن ليس بإمكانهم الخروج للتسول . والتسول خطيئة لان المتسول لا يتكل على الله ، بل على البشر ، وغالباً ما يضر الناس .

**الاتكال** : الاتكال هو تسليم أمر الرزق البشري لتدبير الخالق .

---

(١) قال الغزالي في كتاب احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٨١ ( فان القادر على

الكسب وهو بطال ليس له السؤال الا اذا استفرق طلب العلم أوقاته ) .





فاتكال الانسان على ربه ، يشبه ، أما اتكال الصبي على وصيه كقول الرسول بولس « ما دام الوارث قاصراً فهو تحت أوصياء ووكلاء الى الوقت المؤجل من آيه » (١) أو اتكال الطفل على أمه كقول داود النبي « لانك انت جذبتني من البطن جعلتني مطمئناً على ثديي أمي » (٢) أو كاتكال البهيمة على صاحبها كقوله « أنا بليد ولا أعرف ، صرت كبهيم عندك » (٣) فالنوع الاول من الاتكال ضعيف ، لان الصبي عندما يكبر يميز ، فلا يتكل على الوصي . والنوع الثاني أقوى من الأول ، لان الطفل لا يعلم انه اذا ما كبر لا يتكل على أمه . وأما النوع الثالث فهو الأقوى : لانه لن يأتي وقت أبداً تتكل فيه البهيمة على ذاتها ، وليس على صاحبها . ويضع الابرار ثقتهم بالرب ابان المصائب التي بإمكان الانسان ان يقوى عليها كالمشقات التي قد تكون مصدر شر أحياناً ، أو قد لا تكون ، ولا تكون الحال هكذا بالنسبة الى المصائب التي لا بد ان تقع ( نتيجة عمل ما ) . ولهذا السبب أمر الله في التوراة قائلاً : « أعمل حائطاً لسطحك » (٤) وفي هذه الاحوال يتكل المختارون فقط على الرب مخلصهم ، وأمثال هؤلاء . دانيال في جب الاسود ، وحانيا ورفيقاه في اتون النار .

---

(١) رسالة الرسول بولس الى أهل غلاطية ( ٤ : ١ و ٢ )

(٢) المزمور ( ٢٢ : ٩ )

(٣) المزمور ( ٧٣ : ٢١ )

(٤) سفر التثنية ( ٢٢ : ٨ )





**نقاء الافكار** ، لا تعتبر الافكار طاهرة غير مضطربة ان لم يستكن الانسان الى الله ويتمسك بالامور الالهية ، حتى ان من طهر فكره ، اذا ما افكر في نقاء التصورات لا يبقى فكره طاهراً . وما يعتبر من التصورات المكدرّة الرغبة بنعيم الفردوس ، ويقول الاب فومن : ان الذباب لا يقرب القدر وهي تغلي ، هكذا ما دام القلب يضطرم بحجة الله لا تدنو منه الافكار الاثيمة . وقال أيضاً : هل يقطع الفأس شيئاً دون قاطع ؟ فلا تفسح أنت أيضاً المجال للتصورات فتزول ، وقال أيضاً : تموت الحية والعقرب اختناقاً اذا حبستهما في اناء أحكمت سد فوهته ، كذلك أيضاً اذا نبذت الافكار الاثيمة ( وحبستها ) في اناء القلب وسدده عليها ( تتلاشى حالاً ) . سأل أحد الأخوة الأب ارسانيوس قائلاً : عجبني كيف تسأل الأب مقريس وهو فلاح ساذج وأنت حكيم ، فكيف تسأله عن التصورات ؟ فاجاب انني أعرف اداب اليونان والرومان ، ولكن لم اتعلم بعد ألف باء هذا الفلاح الساذج .

**ذكر الموت** : لا يمكن لمن يتعلم ( ويتدرب ) على ذكر ( ساعة ) الموت ( الرهبة ) ، ان يتورط بالخطية سريعاً .



قال أحد الآباء : جعلت الموت نصب عيني لما اضع المغزل ( لممارسة الغزل كما اني اتصور الموت ) قبل ان أرفع المغزل (١) . أما سبب عدم تذكر الانسان ساعة الموت ، فهو تعلقه بحب الحياة الزمنية . لان من أحب أمراً ابغض ما هو ضده ، ولا يرغب التفكير بهذا المبدأ . ويشقى الانسان من هذا الداء ، عندما يدرك ان حياة الانسان في هذا العالم حلم ، وما أشبه الانسان بالطير يحلق في الفضاء ولا يظهر لطيرانه من اثر . وهو ايضاً كالسفينة تمخر عباب اليم ، دون ان تترك وراءها علامة في الماء ، وهو كذلك مثل طلّ الصباح يجف ضحى ، ويضمحل وهو ايضاً كالزهر اذا ما تفتح سرعان ما يذبل . وبهذه الطريقة ترذل الخطيئة ، وتخدم محبة الحياة الزمنية ، اذ لا يبرح ذكر الموت من ذاكرة الانسان .

### الباب الثالث راحة الكاملين الروحانية

وفيه عشرة فصول - الفصل الاول - مبدأ حركات الكمال بفضل معاناة الزهد الشاقة وبعد اذ يتنقى الجسد ، ويتطهر العقل ، وتغلق كوى الحواس ، ويستتير مخدع القلب ، تظهر الحماسة للعقل ولكنها لا تستمر

---

(١) قال القشيري ( ص ١٦١ ) « وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال : لم يكن بعجيب ان تطير روحه اشتياقاً . » وقال ابن عطا الله ( ٢ : ٦٦ ) « وابلغ من هذا كله محبة الموت وكراهة البقاء في الدنيا شوقاً الى لقاء المولى . »





بل تغدو كالبرق الخاطف ، ثم تحتجب وتكشف له عن جمالها فيتذوق حلاوة ثمرتها فيأسره بهاؤها ، ويفتنه حسنها . ويصبح كل شيء في الوجود وحتى ذاته سراياً ( وبحكم العدم ) لديه . وتخال النفس انها تفتى ، وهي تضطرم بنار محبتها . فاذا وصلت الى هذا الحد يغرس فيها التواضع الجم . وها هنا ، يعد المتوحد نفسه تراباً ورماداً . فيذرف دموع الفرح والحزن . اما الفرح : فلأجل الموهبة ، اما الحزن فمن الخوف . وبسبب ذلك يجتهد بالترتيل الكثير ، والركوع المستمر . ويلتذ جداً في اطالته الصلاة ، ويخطر بباله ذكر القديسين ، ويجتهد بالاعتناء بهم ، ويهتم براحة المتضايقين ، وخدمة المرضى ، واذا ان هذه المهام تشغله عن الحديث مع الحمامة ، يعود الى الهدوء والصمت . واذا سئل سؤالا غير ضروري ، لا يجيب عليه ، ويبغض كلام الترايين ويعتبره كحديث الاعداء .





واذ يفعل هذا تزوره الحمامة الفتية التي هي اقدم من الدهور والاجيال ، فان لم يسلمها ذاته برمتها ، ترذله وترتد عنه ، (١) وعلى هذه الحال فبالنسبة الى حرارته في عبادة الله ، أو ، وهنه فيها ، يكون تقدمها منه ، أو ابتعادها عنه . والعلمانيون المولعون بالدينويات يضربون قصة طبيعية مثلاً يشابه ما نحن بصدده فيقولون :

جاءت لتقنعه بالحب لاهفة « مشياً على الرأس لا سعياً على القدم » (٢)

## الفصل الثاني حركات الكمال المتوسطة

بعد حركات الافعال التي يبدأ بها الكمال ، تغير الحمامة تأثيراتها في العقل وتجعله صالحاً لرؤية كل نفس حصلت على تأمل الهي ، وتؤهله لقبول الالهامات فتظهر في العقل أولاً فهم الخلائق وذلك لأنه مثلما بوساطة الشمس المنظورة ، تظهر للعين العناطر المحسوسة ، هكذا بوساطة الحمامة العقلية تعلن الطباع الروحية للنفس . ثم يعود العقل الى مخدعه ويعرض عن كل ما في السماء والارض ويكلف بهوى الحمامة وحدها .

---

(١) قال ابن عطا الله (٢ : ٦٠) « حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احبته حتى لا يبقى لك منك شيء » .

(٢) تعريبها نثراً : عندما ترى الحبيبة حبيبها قادماً تسرع بالتقدم اليه ، مشياً على الرأس لا سعياً على القدم ، مبرهنة له عن صدق حبها .



اما هي فاذ تتأمل لهيب محبته ، التي قد فحست كما يفحص الذهب  
بالنار ، تتراءى له عندئذ لا كالبرق الخاطف بل كنجم حجبه السحابة عن  
الرؤية ، ولاسيما ابان الصلاة حيث يبطل النظر ، وتلتهب النفس ، ويذهل  
العقل ، ويسقط الانسان ارضاً كميث ( لا حراك فيه ) يستوي قائماً ، ويستعد  
للرؤية فتتشع السحابة رويداً رويداً ، وتستير العين . وفي هذا المقام يفتقد  
الكامل كنائم ، وهو يقظان ويحسب مستيقظاً وهو نائم .

### الفصل الثالث حركات الكمال التامة

اذا ما تعبدت النفس بالخلال المذكورة آنفاً ، وارتاضت عليها واعتادت ،  
نال العقل دالة كاملة لدى الحمامة فيتأملها بهدوء ويتحدث معها ، ولا يكون  
ظهورها ايضاً كالبرق الخاطف او كسحابة تظهر غامضة ، ولكنها تحل في القلب  
كأنه وكر ، وتظهر ذاتها للعقل كما هي . أي انها حياة الوجود وعله العلل  
وتلهمه اسراراً عجية .





وحيثُ يعرف العقل الكلمة الذي كان منذ البدء ، وييده كان كل شيء ،  
اعني حكمة الوجود ، الذي يسجد له سائر ملائكة الله ، الذين هم ارواح  
خادمة ، ويمجدونه . وعندما يتحقق العقل من رؤيتهم ، وجمالهم ، وبهجتهم ،  
يصير مثلهم . واذا طارت الحمامة والملائكة وارواح الابرار في خدمتها ، يرحل  
هو ايضاً صحبتهم وفي برهة يسيرة يبلغ معهم غمامة النور غير المقرب منها ،  
واذ ينساب الى داخلها مستتراً بها ، يستحق المنزلة التي كانت لموسى . وادى  
انذهاله بيها الرب سيد الكل ، يزداد بهجة ، ولا يستطيع الرجوع الى مكانه  
الاول من موضع اللذة المحرقة ما لم يطلقه سيده من الاتحاد به . وعند عودته  
يخضب اعضاء جسده بالنار الالهية التي تغلغت فيه ، ومتى اشتهى الصعود فالجسد  
ايضاً يختطف معه ، عما قليل ، وبالجهد ينتزعه ويلقي به جانباً ، كشأنه في نعله .

#### الفصل الرابع اتحاد العقل

واذا اتحد العقل بالصالح فانه يسمو من مجد الى مجد بوساطة الرب الروح







ولا ينسى كل ما في العالم وحسب ، بل وحتى ذاته . ويتسر بل بنور ذلك  
المكان ، ويرى ذاته انه صورة الله . واذ يعب كؤوساً مترعة في ذلك المخدع ،  
يغيب عن حسه ، ويهذي في سكره ويقول : انا والاب واحد ، وأبي فيّ وأنا فيه  
مع اشياء اخرى غيرها تحرص الحمامة اخفائها ، ولأجلها تقول : السر لي ولبني  
بيتي (١) . ولما وقف السعيد بولس على سر هذه الأمور قال : انه سمع كلمات  
لا ينطق بها ولا يسوغ لانسان ان يتكلم بها (٢) . وايراثاوس تلميذه أيضاً هكذا  
سلم الى ديونيسيوس تلميذه قائلاً : متى اتحد العقل بالصالح ، فانه يترك اسم  
المحبة والمودة لان المحب والودود يصير هاهنا شخص المحبوب المودود ، وهكذا  
كل كناية يقصد بها الازدواجية كلابوة والبنوة ، والمجيد والمجد ، لان العقل  
هناك لا يمجد ( بكسر الجيم ) بل يمجد ( بفتح الجيم ) .

---

(١) قال ابو طالب ، ( ٢١ : ٥٩ ) :-

ومن بعد هذا ما تدق صفاته      وما كتبه احظى لديه وأعدل  
ألا انّ للرحمن سرّاً يسره      الى أهله في السر والستر أجمل

(٢) رسالة الرسول بولس الثانية الى أهل كورنثوس ( ١٢ : ٢ و ٣ ) .



وأورد هذا العلامة براهين من الاجسام على الاتحاد العقلي وقال : كما ان الماء يعد بموجب عدد الاواني التي تسعه ، واشعة الشمس على عدد الكوى ، والنار بموجب عدد المواد التي تتقد بها ، والهواء على عدد الازقة التي ينحصر فيها ، واذا ازيلت الاجسام الضابطة لها كلها يصير لكل من الماء والاشعة وبقية الأشياء المذكورة اعلاه ، ماهيه واحدة ، هكذا أيضاً العقول عندما تتلاشى الاجساد فانها تصير كلها واحداً . وكما ان للجسد مبدأ من العناصر واليها يرجع ، كذلك أيضاً العقل حيث ان مبدأه هو الذات الالهية فالى الذات الالهية نفسها يعود ليكون الله الكل في الكل كما علمنا معلمنا ومرشد طريقنا .

## الفصل الخامس اسباب المحبة

اسباب المحبة خمسة : وهي مكانة الشخص ، وعمل الخير ، والجمال الظاهر ، والجمال الباطن ، والتشابه الخفي . فبالنظر الى جميع هذه الاسباب تُوجِب محبة الله ، ويتضح ذلك من انه اذا كان من طبع الانسان ان يحب ذاته فبالضرورة ان يحب مكوّن هذه الذات ورازقها الذي هو الله .





« لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد » (١) وان كان الانسان يحب من أحسن  
اليه دون انتظار مكافأة ، فكم بالاحرى يجب عليه ان يحب الله المسجود له الذي  
قد اعدّ له الخيرات التي لا تحصى كشروق الشمس ، وظهور القمر ، والكواكب  
واعتدال الهواء ، ومياه السحب والنيايع ، والانهار ، وثمار الأرض ، والحيوانات  
والبهائم ، وغيرها التي لا تحصى . وان كان الانسان يهوى الجمال الظاهر ، فكيف  
لا يحب من يظهر لانقياء القلوب بثياب تلمع كالثلج ، وشعر كالصوف النقي ،  
وقد استوى على عرش يلهب ناراً ، وفوق عجلات متقدة ، وعلى المركبة ذات  
الوجوه الاربعة . حقاً ان كل من يؤهل ان يراه ، ينبذ كل حب خارجي ،  
ويتلهف اليه وحده . وان كان الجمال الباطن المقترن بمعرفة الأسرار الخفية ،  
والبعيد عن أهواء الخطيئة ، والمطابق لأعمال البرارة ، يستحق المحبة ، فمن لا يحب  
مقدس القديسين ، ومطهر الدنسين .

---

(١) سفر اعمال الزسل (١٧ : ٢٨)





والذي تعتبر معرفة ( الخلائق ) جهلاً اذا قيست بمعرفته ؟ وان كان التشابه الخفي يُحب فما أشقى الانسان الذي لا يحب ربه الذي خلقه على صورته كمثاله !

## الفصل السادس لذة المعرفة

كما انه بموجب القوة المدركة للاشياء المحسوسة اعني اللمس ، والذوق ، والنظر ، والسمع ، والشم ، يحصل الانسان على لذة خاصة ، هكذا فطنة العقل يكون لها لذة خاصة ، ومن حيث انه لا يوجد بين الروحانيين كافة أعجب . وأدهش ، واكمل من رب الكائنات والهها فاللذة التي تنتج عن معرفته تفوق كل اللذات (١) ومن لم يذوقها لا يشتهيها ، كما ان الأصم لا يشتهي ان يسمع صوت القيثارة إذ لم يسمعه قط ، كذلك فكثيرون لا يشعرون بالضرر الناتج عن جهلهم معرفة الله ، مع ان ذلك يعتبر أكثر إيلاماً من جميع الآلام ، ومثلهم مثل العضو المخدر الذي لا يحس بالنار ، ولا بالبرد القارس . اذن لا يوجد انسان سبي عقله بحب ربه ، وتتمكن شهوة شيء في العالم ان تسيبه .

---

(١) قال الغزالي في كتاب احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٦٢

« ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملاكوت السموات والارض فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات والذمها وأطيبها . »



ولا أحد وجد الله ولم ينس العالم بأسره (١) .

والعقل ما لم يمتزج بمحبة الرحمن ضلّ

والعبد ما لم يخش بارئه تردّي الرّق غلا (٢)

وهذه اللاة تحدث بعدما ينفصل العقل عن العناصر انفصلاً تاماً كما قال

بولس الرسول السعيد : « فاننا ننظر الآن في مرآة ، في لغز ، لكن حينئذ وجهاً لوجه » (٣) . ويقول القديس غريغوريوس : ان النفس الصالحة والمحبة لله عندما تنطلق من جسدها تتمتع بلذة عجيبة وتبتهج إذ ان ( الجسد ) الذي كان مظلماً صار نقياً .

## الفصل السابع وغاورد محبة لله

تنمو محبة الله في النفس ، اذا تدرّب الانسان بالايمان ، والرجاء ، والمحبة ، وتقوى بالزهد ، وأخذ يلهج باعمال الخالق العجيبة ، ويرى ببصيرته القوة الالهية المحيطة بالكل ودون حاجز يجتاز حدود الدنيا كلها وخارج حدودها .

---

(١) قال الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٦٤

« ولهذا قال أبو سليمان الداراني ان لله اعباد ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله » .

(٢) تعريبه نثراً : فالعقل الذي يلهف نفسه بحب ربه لا يضطرب أبداً ، ومن يتعبد للرب ، خلع ثوب العبيد حالاً .

(٣) رسالة الرسول بولس الأولى الى أهل كورنثوس ( ١٣ : ١٢ ) .





وفوق سائر السموات والبحار والأعماق وكل ما فيها ولا يرتبط العقل بشيء منها ، حتى ولا يمكث في ظلام الهيولى ، بل يبغض كل شهوة ، ويطلب الصالح وحده ويرغب فيه ، منقياً نية قلبه من كل ما سواه ، لكي يرى - ولو بغموض - شيئاً من أشعة الازلية ، وفي هذه النظرة الخاطفة من شرارة الحب اليسيرة ، تتكون شعلة عظيمة تلهب النفس فيتلهف محب الله لرؤية ربه وينتظر بشوق مجيئه ليرى وجهه ، ولا يقدر ان يفصله عن محبة ربه ، لا موت ولا حياة ، ولا الأشياء الحاضرة ، ولا المستقبل ، ولا خليفة أخرى . ويتم ارادته ، ولا تفتأ شفتاه عن ذكر اسمه . ويتعزى بالسكون والعزلة في كوخ ضيق ، ويتلذذ بأعمال الزهد ، ويصير رحيماً على الصالحين والطلحين ، ويصلي باستمرار لكي لا تبرد محبته . وجهد امكانه يستر هذه المحبة ، ولا يحب أحداً سواه . قيل ان المصرية التي أحبت يوسف عندما مات زوجها آمنت بالله . فأراد يوسف ان



معصوم وبعينه حقا لا اعجابا: ابدنا في  
 حبر وادوات مدته وفضلته. من ما وكلمته  
 به تلك لا الجبهه وفضلنا اياهم من  
 ملك الجبهه والى واصل حقا الخه. به  
 نبهنا او منسره وفضلنا وفضلنا  
 ملكنا في حق وبعينه وفضلنا  
 وبعينه حقا وفضلنا. مع خذنا حقا  
 لمر وادواته منسره. اننا لمرجه حقا  
 في ملكنا به تلك. منسره نا الكه ما كنه  
 في حقا في حقا وفضلنا مع حقا  
 وفضلنا في حقا. لمر وفضلنا  
 منسره لمر وفضلنا. مع حقا  
 حقا لمر وفضلنا. مع حقا  
 وفضلنا لمر وفضلنا. مع حقا  
 وفضلنا لمر وفضلنا. مع حقا  
 حقا لمر وفضلنا. مع حقا

: - أ - من ما وكلمته



يتزوجها فرفضت ، وقالت اني احبته قبل ان أعرف ربه ، والآن وقد عرفت ربه ،  
فاياه ( وحده ) أحببت لاعبده .

## الفصل الثامن معرفة الله

ان معرفة العارف بوجود الخالق من وجود المخلوقات ، طريق سالكة  
مهداها الكثيرون باتعاب ، أما المختارون ، الذين سبق الله فدعاهم ليكونوا مختارين  
وقديسين . فانهم من الخالق يعرفون المخلوقات (١) ، كما قال بعضهم : أما انا  
فبمعرفة الهي عرفت العالم وذاتي . والمرتل الالهي قد عرف المعرفة الاولى بقوله :  
« السموات تخبر بمجد الله » (٢) وعن المعرفة الثانية أشار بقوله : « بنورك  
نرى نوراً » (٣) والحكماء الوثنيون أيضاً يفضلون المعرفة الثانية على الاولى . ولان  
معرفة الله هي سبب محبته ، فاناس لا يعرفونه كما هو ، ولذلك لا أساس لمحبتهم  
أياه . وغيرهم يعترفون به كما هو ولكن عن طريق التقليد والسمع .

---

(١) الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٧١ يشرح هذين النوعين من  
المعرفة قائلاً : « والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون أول  
معرفتهم لله ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالافعال ثم يترقون  
منها الى الفاعل » وقال ابو طالب (٢ : ٣) « هناك حقت عبادته وخلص توحيدك فعرف  
الخلق من معرفة خالقه » .

(٢) المزمور (١٩ : ١)

(٣) المزمور (٣٦ : ٩)





ولو ان لمحة هؤلاء أساساً غير انه موضوع على الرمل ويتزعزع ابان بعض من الشدة ، وأما العارفون فانهم يعرفون ألوهيته المعرفة الصحيحة ، وأساس محبتهم وضع على الصخرة ، ولن تقوى عليه الشدائد ، والاضطهادات ، والسيف ، والنار ، ومع ان جميع الكائنات التي في السماء وعلى الأرض تشير الى وجود الخالق (١) و « لا قولَ ولا كلامَ لا يُسمع صوتهم » (٢) فكثيرون لا يعرفونه لاحتجابه بل من كثرة ظهوره ، يغشى على العقل بنوره غير المحسوس (٣) لان العقل البشري بالنسبة الى النور الازلي ، هو مثل الخفاش بالنسبة الى نور الشمس ، اذا فكما لو كان للخفاش قوة البصر التي للانسان ، كان يمكنه ان يتطلع الى نور الشمس . هكذا العقل البشري ، فانه لو حصل على قوة عقل الملائكة كان بإمكانه ان يرى النور الازلي (٤) .

### الفصل التاسع التغيرات التي تحدث للكاملين

منذ بدء بلوغ الكاملين درجة الكمال وحتى انفكاك قيودهم ، يحدث لهم ، على الاغلب ، اثنا عشر تغييراً : -

(١) قال الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٧٥ : « ووجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندرکه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض » .

(٢) المزمور ( ١٩ : ٣ )

(٣) قال ابن عطا الله ( ٢ : ٩ ) « انما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابصار

لمظم نوره » .

(٤) قال الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ج ٤ « كما ان الخفاش يبصر بالليل -





ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره ، فان بصر الحفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة .

**التفسير الاول ، غوص العقل بالقلب :** هاهنا يتوقف الفكر ولا يتحرك ولا يتلفظ اللسان بالحمد . ولا يحتمل الانسان سماع حفيف ورقة ، ويستولي السكون على حركات النفس والجسد .

**التفسير الثاني الفهم :** فيه يعرف العقل عظم درجته ، وان أصله هو من الله ، وهاهنا أيضاً يلزم الصمت والسكون ، وان غلبه التيه ، فقراءة الكتب ، والركوع تتجمع ( شتات العقل ) .

**التفسير الثالث ، محبة الترتيل :** من حيث ان الكامل عند لفظه كل جملة يتبدل من حالة الى أخرى ، وطبيعياً تتأصل الفاظ المزامير في ذاكرته ، حتى اذا صمت ، يسمع وكأنه المرتل الالهي يرنم في اذنيه ، عازفاً على القيثارة ، ثم تمحا الكلمات من الاذن وتبقى المعاني في الذهن .

**التفسير الرابع تفجر الدموع :** ويحدث هذا لا قهراً ولا ارادياً ، انما تسجر نار المحب القلب فتتهطل الدموع من العينين .

**التفسير الخامس ، معرفة الدينونة :** هاهنا تولد الشفقة في النفس .







وتنظر الى الناس سواسية ، ولا يوجد هاهنا بار أو خاطيء ، عبد او حر ،  
ختان أو غرلة ، ذكر أو انثى ، بل تطلب الرحمة عوض الكل ولأجل الكل .  
التفسير السادس ، استنارة العقل ، بالاشعة الملائكية المركبة من النور  
والنار ، ويتقد ( الانسان ) غيرة وحباً ليتحد بافواجهم ، وليضم الى جوقتهم .  
التفسير السابع ، استماع تقاديس الـرافيم ، التي لا تتكوّن بالنطق  
المفسر بل ترسم بالفاظ عقلية .

التفسير الثامن ، المشابهة ، عندما يستضيء العقل بالنور غير الموصوف  
ويتغير الى مثاله ، كالسحابة اللطيفة والشفافة ، التي تكون بمائلة لشكل الشمس اذ  
يكون موقعها قريباً منها .

التفسير التاسع ، الاستنارة ، صيرورة الانسان شبه نار متقدة ، وذلك  
اذ يصير الجسد كله بلون النار ، كما كان يرى الأب ارسانيوس وهو واقف في  
صومته يصلي .

التفسير العاشر ، الاتحاد ، ويدعوه العارفون بالشيء الذي لا يمكن  
كتابته ، وبه تُمحي الاعداد ، وما هنا يزول الضعف البشري ، وتبطل الصلاة



والطلبة ، ولا يبقى ذكر للامور الحاضرة والمستقبلة ، إذ ان العقل يصير حينئذ كقابل الصلوات كافة ، لا مصلياً وكمجيب الطلبات لا طالباً .

التفسير الحادي عشر ، الفرغ غير المصروف سببه ، إذ يعرف العقل حينئذ انه جذلان ، ولكنه لا يعرف سبباً لفرغه .

التفسير الثاني عشر ، طلاقة في الكلام ، وتفسير الأسرار ، وكشف المستقبلات ، المدونه في بدء الكتاب الذي هو سفر معرفة الله .

### الفصل العاشر بقوّة الكاملين

عند بلوغ درجة الكمال ، ولئن يتقدس الجسد ويتنقى القلب ويستتير العقل ، فان لم يحترس الرجل الكامل من الفخاخ التي ينصبها له ابليس ، فانه يسقط من شاهق ارتفاعه حالاً ، كما سقط الشيطان أيضاً . وتسرق الافكار الشريرة الانسان الكامل كالآتي : عندما ينعم عليه بالاكتشافات العجيبة ، فانه يتهجج في نفسه ، ويتوق ان يُعلن المواهب التي استحقتها ، والتي لم ترها عين ، ولم تسمع بها اذن ، لذلك يحرص بان يمضي الى المدن والقرى .





كمرشد ومخلص النفوس ، ولبيان الكثيرين الذين سيكون لهم قدرة فيتشبهون به ، ويُخَيَّل له كَأَن الشياطين يتدمرون منه ويشتكون قائلين : آه ما لنا ولك يا عبد الله أتيت هاهنا لتمذبتنا ؟ ! . ويرى أيضاً كما في الخيال اناساً ينالون الشفاء وجمهوراً غفيراً يتزاحمون ليدنوا من ثيابه ، وعلى الباب يقف الذين يطلبونه ، وان لم ينطلق معهم يذهبون به مكبلاً بالقيود . وهكذا عندما يندفع بأفكار كهذه ، يرتد الى العالم ، وان رأى حينئذ زميلاً له أبرع منه كلاماً ويرغب الناس في العلم الذي عنده يحسده ، ويبغضه ، كما حدث لهرون الاسكندري ذي السيرة الرفيعة ، الذي كان يأكل مرة واحدة في كل ثلاثة أيام . لما سقط بخطيئة الافتخار ، أظلم عقله وابتدأ يحقّر الأب اوغريس قائلاً : من يقبل تعليمك ، يضل ضلالاً ، لانه لا حاجة له الى معلم آخر سوى المسيح الذي قال : « لا تدعوا لكم معلماً على الأرض » (١) ثم اغراء الشيطان لبعضي الى الاسكندرية .

---

(١) انجيل متى (١٠ : ٢٣)







ولما ذهب تمرغ في حماة الزنى ، وقطع عضو تذكيره ، إذ فسد . ولما تعافى بقى بدونه ، وعاد الى رشده ثانية . لذلك فالانسان وان بلغ درجة الكمال ، عليه دائماً ان يطلب من ربه قائلاً : « لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني » (١) .

الباب الرابع  
قصة تدرج المؤلف بالعلوم  
تليها أقوال الهامة

شفت منذ نعومة اظفاري بمحبة العلم . فتفهمت الكتاب المقدس وتفاسيره الضرورية ، وادركت على يد معلم متبحر ، الاسرار المكنونة في كتب الملافة القديسين . ولما بلغت العشرين من عمري ، اضطرني البطريرك المعاصر الى ان اتقلد رئاسة الكهنوت ، حينئذ الجأتني الضرورة ان اجادل ذوي المعتقدات المخالفة من مسيحيين وغرباء ، مجادلات مبنية على القياس المنطقي ، والاعتراضات ، وبعد دراستي هذا الموضوع مدة كافية وتأملتي فيه ملياً تأكد لدي ان خصام المسيحيين بعضهم مع بعض لا يستند الى حقيقة .

---

(١) المزمور (٥١ : ١١)



بل الى الفاظ واصطلاحات فقط ، إذ ان جميعهم يؤمنون بان سيدنا المسيح هو اله تام ، وانسان تام ، بدون اختلاط الطبيعتين ، ولا امتزاجهما ، ولا بابلتهما اما نوع الاتحاد ، فهذا يدعوه طبيعة ، وذلك يسميه اقنوماً ، والآخر فرصوفا . ( شخصاً ) . واذ رأيت الشعوب المسيحية كافة رغم اختلافاتها ظاهرياً ، متفقة اتفاقاً لا يشوبه تغيير ( أو شكٌ ) ، لذلك استأصلتُ البغضة من اعماق قلبي ، وأهملت الجدال العقائدي مع الناس واجتهدت على ان ادرك فحوى حكمة اليونان ، أعني المنطق ، والطبيعات ، والالهيات والحساب ، والاداب ، وعلم الفلك ، وحركات الكواكب . واذ ان الحياة قصيرة والعلوم واسعة لذلك فقد انتقيت ما هو ضروري من كل من هذه العلوم وتناولته درساً وتمحيصاً . ومثلي بدراسة هذه العلوم ، مثل من كان غارقاً في البحر ، وهو يمد يده الى كل ناحية لعله ينجو . واذ لم أجد ضالتي المنشودة بالعلوم الخاصة والعامة كافة ،





فقد أوشكتُ ان اهلك هلاكاً تاماً ، حيث اصطادتني فخاخ هذه العلوم  
وكانها قد رصدتني ، واني أمسكت عن ذكر ذلك وايضاحه لئلا يضر بكثير من  
الضعفاء ، والخلاصة انه لو لم يعضد الرب ضعف ايماني في الازمنة الخطرة .  
ولو لم يرشدني الى التأمل في كتب العلماء ، كلاب اوغريس وغيره ، من المغاربة  
والمشاركة ، ومنتشلي من هوة الهلاك والدمار ، لكنت قد يئست من الحياة الروحية  
لا الجسدية . فقد درست تلك الكتب غضون سبع سنين ، ابغضت خلالها بقية  
العلوم التي كنت قد درست أغلبها ، لا لذاتي بل لاجل الذين كانوا يرغبون في  
الاستفادة مني ، بغير ما أناة ، وفي هذه الفترة أيضاً أعيتني بل أشقتني الشكوك  
والعثرات العديدة ، فكنت أسقط في هوة الكفر تارة ، وانادي : كفى هؤلاء  
النسك جمعجة ! الا ترى رحاهم خلوة من القمع ؟ ! .







ألا ان كلامهم مشحون بتصورات سـخيفة لا حقيقة لها ، وكان ضميري  
يؤنبني أحياناً وهو يخاطبني بقوله : لا تهذب ولا تظن ان كل ما لا تعرفه ليس  
بموجود ، لان ما تعرفه هو أقل بكثير مما لا تعرفه . وكنت بشكوكي هذه أعرج  
على الجانبين ، حتى أشرقت عليّ كالبرق أشعة نور خاطف لا يوصف ، فتناثر جزءه  
من القشور التي كانت متلبدة على عينيّ فانفتحتا ، وأبصرت قليلاً ، واذ كنتُ  
أصلي بلا فتور ، ليتداعى كلياً السياج القائم في الوسط لارى المحبوب غير المنظور ،  
لا بالظلام بل علناً .

وهذه الاقوال المختصرة التي اسوقها هنا الآن ، إن هي الا جزء من  
ذلك الشعاع البرقي الذي ظهر في ظلمة الليل : -  
١ - لا تبهر النفس الطاهرة في المعارف ، لأجل المجد الذي يناله العلماء  
في هذا العالم بل يتزايد شوقها الى رب الكل ، فتمكن من الدخول في السحابة  
الالهية والاحتجاب بها .



٢ - ضل الذين يهتمون بالتبحر بدراسة العلوم المسيحية والوثنية ولا يهتمون بتطهير ضميرهم ، ويظنون انهم قد بلغوا درجة الكمال . فما الفائدة من اتقان صنع المرأة المرصعة بالجواهر والحجارة الكريمة ، إن لم تكن مجلوبة عن الصدأ ؟ والمرأة المصنوعة ولكن كانت بسيطة في صنعها ، فانها تفي بالحاجة التي صنعت لأجلها.

٣ - من تعلم عن طريق السماع كيفية تشييد البيت الذي بناه سليمان ، كيف يماثل من دخل ذلك البيت وشاهده بأمر عينه ، وأحصى طبقاته ، وكواه المفتوحة والموصدة ، وأروقته وجدرانه ، وأجنحة كروية ، ونقوش أعتابه .

٤ - يهتم كثير من الملائكة والاباء بجمع المال وبسائر الملذات ( وهم يبررون أنفسهم ) بقولهم اننا انما نعد علفاً للبهيمة ، أعني قوتاً للجسد ، الذي هو مطية النفس ، ( انهم ليتوهمون باعتقادهم ) ان ذلك لا يضر أمثالهم مثلما لا يضر الأصحاء طعام المريض ، وبالحقيقة قد اشتدت عليهم الحمى ، وساء مزاجهم ، واضطرب نبضهم ، حتى غدوا بمرضهم لا يشعرون .





٥ - منل من ظن ان اختلاف ألوان قوس قزح انما يرجع الى تعدد ألوان أشعة الشمس ، ( وبالْحَقِيقَة ) انها ترجع الى تعدد أجزاء السحب بالكثافة والرقّة والتلبّد والوضوح

٦ - اخطأ الظن من حسب ان الشمس تشرق على الاجساد المظلمة فتغيرها طمعاً بنيل المجد ، والمدح ، والتعظيم ، والتبجيل ، والحقيقة هي ان المنار ( بضم الميم ) يقتني المجد ، والمدح ، والجمال والعظمة ، بالمنير ، وليس هذا - المنير - بالمنار .

٧ - كما ان الجائع لا يشبع بالماء ، والعطشان لا يرتوي بالخبز ، كذلك العارف الذي يرغب ان يرنو الى باطن السحابة السينائية لا يلذه خبر الكتب الا قليلاً .

٨ - ان معرفة الله بالنسبة الى معرفتنا كقوته بالنسبة الى قوتنا .

٩ - ان الله هو ضابط الكل فكيف يحصره العقل ؟





بينما الشيء القابل للحصر ( ذاته ) لا يمكنه ان يضبط الا جزءاً من الحاصر لا كله ،

١٠ - مادمت تروم ان تعرف الله بوساطة الأدلة والبراهين والشهادات ،

فأنت تضرب على حديد بارد (١) ، وليس فيك بعد من الايمان بقدر حبة خردل

١١ - تحصل رؤية الله باغماض الحواس ، وفتح كوى القلب ، وكشف

الحجاب عن أعين الضمير ، وهذا هو ما قيل عنه « سد النوافذ ليستتير المنزل » .

١٢ - الذين يدخلون السحابة ، يدركون عمق الله وغناه وحكمته ، بدون

وساطة التصورات وعرقلتها .

١٣ - كما يدرك العقل ههنا المباديء الأولى ضرورة ( كمعرفته ) ان الكل

هو أكبر من الجزء ، وان الواحد هو نصف الاثنين ، كذلك عندما يلجج السحابة

الالهية يدرك ضرورة أحكام الله الخفية وغير المدركة .

---

(١) نجد التعبير نفسه لدى ابي طالب ( ١ : ١٠٠ ) حيث يقول ( فكيف تنال من

الآخرة وقد اعرضت عنها وصرفت عنها فيما أراك تضرب إلا في حديد بارد ) .



١٩ - ان كنت لا تملك أيها الأخ ، الايمان بالوحي ، فلا تعطي لعينيك  
سنة ، ولا لجفنيك نوماً ، حتى تجد مقاماً للرب (١) . ومن هناك تنال الايمان ،  
وتعتمد بالنار والروح لا بالماء .

٢٠ - يعطي الايمان بالوحي للانبياء ، والرسل ، بوساطة الاشرار من  
العلي ، دون مشقة أو تعب ، وأما النساك ( فلا ينالونه ) الا بعد طلب ، وعناء ،  
وانسحاق ، وزهد . وبهذه الوسيلة يرتقون من ايمان الخيال ، الى ايمان الالهام .

٢١ - احترس ، لملك بالقراءة السريعة ، وبمواظبتك على العمل تتمكن  
من دفع ذاتك بسمة أهل الملكوت ، لان كثيرين تعبوا كثيراً ، واذ لم يكن ذلك  
بتعقل ، لم يدركوا طريق الحق ، ولم يصلوا ميناء الحياة .

٢٢ - لا يُقتنى الكمال بالاعتاب الجسدية فحسب ، وانما باجتهد الضمير  
السليم وجهاده أيضاً . فاقرن اذن عملك الجسدي بتمييزك الروحاني ، لكي  
تعرف العبادة بالجسد والنية معاً .

٢٣ - هذه هي المحبة ، طلب المحب للمحجوب ، وهذا هو الطلب الحقيقي  
أن يوجه الطالب كل نظره الى المطلوب .





حينئذ يصير الطلب والفوز به توأمين متفقين . أعني يحصل الفوز بعد الطلب حالاً . ومن يطلب هكذا يجد ، ومن يسأل بهذه الوسيلة ينل .

٢٤ - كما ان الحديد الخالص يجذبه المغناطيس بسهولة ، ولكن اذا ما اختلط بعنصر آخر ، تضعف فيه قوة الجاذبية ، هكذا أيضاً العقل النقي ، تجذبه برمته الذات الالهية السامية ، ولكن إن كانت رغبات الجسد ملتصقة به ، أبطلت قابلية الانجذاب فيه .

٢٥ - كما ان تنقية الحديد من العناصر الغريبة عنه مثل الذهب والفضة ، والنحاس والقصدير ، هو أصعب من اعتقه من الايدي المستولية عليه ، ومن سائر المعطلات الخارجية غير المختلطة بجوهره ، كذلك الحال في تطهير العقل من العادات البهيمنة ، والأهواء الحيوانية المتأصلة في طبيعته ، إذ تكون أصعب من انقاذه من شرك المرأة ، والبنين والامناء ، والوزنات .

٢٦ - عندما يدرك العقل ان هنالك كلمات ليس بامكانه ان ينطق بها ، وأموراً لم ترها عين ، ولا سمعت بها اذن ، ولا خطرت على قلب بشر ، عندئذ يرتفع فوق سائر الدرجات التي هي خارج السحابة الروحية ، ويضع قدمه على عتبة الدرجة السفلى فيها .







٢٧ - عندما يؤهل العقل لسماع أقوال فائقة الوصف ، يعجز الانسان عن تفسيرها ، ورؤية أمور لم تر مثلها عين ، يكون قد سكن في مسكن الرب وحلّ في جبله المقدس (١) ، منذ أمد بعيد .

٢٨ - تعلن الكنيسة مجاهرة : ان الواحد بثلاثة وأن الثلاثة بواحد ، ولكن ليس بنوع يكون فيه الواحد اذ هو واحد ثلاثة ، أو الثلاثة إذ هي ثلاثة واحد ، لأن هذا محال .

٢٩ - ان للثلاثي بذاته معنىً وحيداً ربّانياً ، بتوحيد الذات غير قابل الانقسام الى ثوالت متعددة . وبهذا المعنى هو واحد وبما ان للفريد العلي ذاتاً ، وكلمة ، وحياة ، ثلاثة ، فهو اذن واحد بالطبيعة ، بثلاثة اقانيم .

٣٠ - يستحيل أن تكون علة كلمة الذات الالهية ، وحياتها ، شيئاً آخر سوى الذات الالهية نفسها ، والا تكون قد صنعت من آخر ، وهذا الأمر محال للذات الالهية ، لذلك دعا علم اللاهوت العلة الأب ، أما الكلمة والحياة المعلولان ، فالابن والروح .

٣١ - عندما تكون الكلمة خفية في ذهن الناطق ، فمثل إعلانها مثل ظهور الطفل من الرحم بالولادة .



وأما الحياة فإنها معطنة في الحي ما دام حياً ، وهكذا فالابن مولود وليس هو منبثق وليس والروح منبثق وليس هو مولوداً .  
٣٢ - طالما يخلق الله خالق كل شيء اختيارياً . فأعلانه للمخلوقات يمكن بوساطة أي كان من الأجسام .

٣٣ - إذا ما سلّمنا بحقيقة ظهور الله لموسى بالعوسجة في جبل سيناء ، واعطائه آياه الشرايع والاحكام الملائمة لبني اسرائيل ، فكيف ينكر ظهوره تعالى للعالم بانسان تام ذي نفس ناطقة عاقلة ؟ .

٣٤ - من لم يكن مصدر وجوده من ذاته ، بل من علته يستحيل ان يكون سبباً لوجود موجود آخر . ولكن ربما يكون وسيطاً ، إذن فالله وحده علة كل العلل ، وهو خالق الكل في الكل .

٣٥ - بما ان القمر يستمد نوره من الشمس ، وان نور القمر يضيء الأرض ليلاً ، فكيف اذن يكون القمر الذي لا نور له بذاته ، علة إنارة الأرض فليس هو علة ولكنه وسيط بين العلة والمعلول .

٣٦ - كما ان المرآة خالية بذاتها من كل صورة وشكل . وبقدر





صفاتها وصقلها تظهر فيها بوضوح الصور الخارجة عنها ، كذلك العقل أيضاً وهو خال من التصورات ، وبحسب نقائه من الادناس الهيولية ، تتصور فيه الأشكال الروحية .

٣٧ - ان مقايسة المملكتين السماوية والأرضية بملك الملوك ، واله الالهة ، ورب الأرباب ، هي كمقايسة صور الأجسام الظاهرة بالمرآة ، بالأجسام الحقيقية الخارجة عنها ،

٣٨ - كما انه لا وجود حقيقي ذاتي للصور التي تظهر في المرآة ، وانما وجودها تابع لوجود الاجسام الاصلية خارج المرآة ، كذلك ليس للمملكتين الروحانية والجسمانية وجود حقيقي بذاتهما ، ولكن وجودهما يتبع عليهما الأولى أي الذات الالهية (١) .

٣٩ - بما ان وجود الحق الأول لا يحصر بزمان ، لذلك لا يصح ان يقال عنه انه قد كان حيث لم يكن معه شيء ، أو سيكون حيث لا يكون معه شيء ، واذا قيل قول كهذا فيكون مصدره ذهنياً غير خبير .

٤٠ - من لا يزال يرضع الحليب كطفل لا يستطيع تناول الطعام المعدّ لكامل السن ، ومن كانت قوة بصره كقوة بصر الخفاش ، لا يتمكن ان يتطلع الى نور الشمس .

---

(١) قال ابو طالب (٢ : ١٤) (ألا كل شيء ما خلا الله باطل .)







بل عليه ان يترك الفصل السابق دون ان يجزم برفضه أو قبوله ، أو ان يخزنه في دهنه الى ان يتم ملء زمانه .

٤١ - عندما تفتح نافذة قلبك ، فانك تحلق طائراً نحو ملكوت الله ، وهناك ترى علانية جميع هذه الأمور ، ولا تحتاج بعدئذ ان تسمع بحديثها ، ولا تكون عندئذ غير مؤمن بل مؤمناً .

٤٢ - بحسب تقلبات مواقع القمر بالنسبة الى الشمس ، يختلف اشراقه ، وبحسب ثبات الموقع يدوم لمعان النور في القمر ، ومتى زال هذا يزول ذلك أيضاً .  
٤٣ - كما ان موقع القمر بالنسبة الى الشمس لا يستمر على حال واحدة ، بل في كل فترة يتغير فيصير موقعه في غير ما كان عليه سابقاً . كذلك العقل ، بموجب التغييرات التي تطرأ عليه ، تزداد استنارته أو تقل . (١)

٤٤ - ان كانت الكائنات تتغير بجواهرها في العالمين ، فالعقل ما دام مهتماً بالمادة ، تكثر تغييراته ، بحسب كثرة إتباعه الأهواء ، واذا ما تحرر من هذا القيد ، نقصت تغييراته ولا تقل استنارته من شمس البر العظيم ، بل بالاحرى انها تزداد .

---

(١) قال ابن عطا الله ( ١ : ١٠٤ ) : « ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما

حجبت النفوس بكثائف الاغيار » .



٤٥ - ان الوجود الذي ظهر قبل الزمن للسماء والأرض وما فيهما ، هو غير هذا الوجود المنظور الآن . وهذا الوجود الحاضر أيضاً هو غير الوجود المنتظر ان يكون في المستقبل ، لان الأول قد زال ، وهذا الحاضر قد تجدد وأما المستقبل المنتظر فسوف يتجدد (١) .

٤٦ - اخطأ من ظن ان الجواهر المحدودة جميعها بسبب مشاكلتها بعضها لبعض بالنوع تكون واحدة بالاقنوم ، مثل من يرى يوحنا ، ثم يعقوب ويظن ان يعقوب هذا هو يوحنا الذي رآه أولاً لاشتراكهما في أوجه الشبه بالطبيعة البشرية .

٤٧ - اذا رأى الاغبياء شمع المصباح متساوياً ، ظنوا ان ماهية الشمع واحدة من بدئها حتى نهايتها ، أما من كان عقله كاملاً فيعلم انه بقدر نقصان الزيت تتلاشى الماهية ، وبقدر جذب كل جزء من فتيلته تتجدد الماهية .

٤٨ - يصب على العقل كثيراً تصوّر زوال الذوات وتجديدها ، وبعد الدرس الغزير ، والتدريب المتقن .

---

(١) قال ابن عطا الله ( ١ : ٣٢ ) « كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه

كان » .





لا يكاد يقدر ان يدرك هذا ، ومع كل ذلك يكون ادراكه مبهماً ، أما العارفون فانهم ينظرونه واضحاً باكتشافاتهم المجيدة ، وباشراق يعرفون ان في طور من الزمن يخلق الباري ذاتاً جديدة لكل مخلوق .

٤٩ - ان الذين يشاهدون بعيني الروح زوال الذوات وتجديدها ، يعلنون جهراً قائلين : واحد هو الله خالق الكل ، الذي به الكل ، وبه أيضاً نحيأ وتتحرك ، وبه نوجد ، وفي يده قوام العقل والنفس وحركتهما وحياتهما ، وييده الطبايع كافة .

٥٠ - ان معرفة الكاملين هي معرفة إيحائية ، وكل معرفة إيحائية تعتبر معرفة نبوية .

٥١ - ان معرفة الكاملين هي معرفة نبوية ، ولا تكتسب المعرفة النبوية ، بل ولا يتعلمها الانسان من مطالعة الكتب .

٥٢ - يكون الانسان الحاصل على الايحاءات أحياناً أكن ، وأحياناً خطياً فصيح الكلام ، كل ذلك بحسب ما يطرأ عليه من تغييرات .

٥٣ - من لم يذق حلاوة محبة سيده ، لا يتمكن من معرفة قوة كلمات المحبوب ، لانها رمزية إذ لا ينطق بكلمات الروح الا برموز سرية .

اسأؤذ ااب ذوسا قلمج فبذو سا كاه لا فبكمات ساسا  
 ونا امراة مر ولا وبتص حلاا ج ذو سا حوا ل شفا  
 سكتها لاسنكلا لدا صخ وكن ااب ذو سا مع ذوسا  
 نكف مع فلكم سا ملك صفر ضب صفتكاه  
 ونا ١٤ حلا مع لجم ولا سقم خفا اوا فبكر  
 وبلو ذ فلكه انا انا لجم صفر كاه انا  
 وملكه انا حوا انا مع ملك به متظلم كاه ونا انا  
 ونا ذوسا بعض صفة نفع انا صفة ونا  
 محققا ونا فلكه انا انا مع فلكه لا انا  
 متظلم ونا صفة انا انا صفة ونا  
 ونا انا مع فلكه انا ونا انا انا  
 بعض مع صفة انا ونا انا صفة  
 حله ونا انا ونا انا ونا انا  
 انا ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا  
 ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا  
 ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا  
 ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا ونا

٩ : د - و - ق - قات  
 ٩ : د - م - ماعه ا  
 ١١ : ا - د - و - ق - انا ونا انا  
 ١٣ : د - حقا حقا



٥٤ - من يكتب أسرار الروح دون أن يملي عليه الروح ذلك ، فهو نحاس يطن ، أو صنج يرن ، لان الروح لم يمزج حلاوته بكلامه .

٥٥ - من يتعلم أسرار الروح من الروح ذاته ، يلتذ سامعوه بكلامه ، وتستأصل كلمته شأفة سائر الأهواء من قلوبهم .

٥٦ - حَسْبُ الطالب - الذي يرغب ان يقرع باب الملكوت - جزء يسير من كلام العارفين ، ليتبين علائم الطريق . وليكثر من التأمل فيه ، ويضاعف اللهَجَ به ، ولا يضيع ايامه سدىً فيخسر وقته في مطالعة الكتب المسهية بتعليمها والمطنبه بمبناها .

٥٧ - من يأخذ جزءاً يسيراً من تعاليم الكاملين ، اذا ما عثر على أحد العارفين فليسترشد بكلام فمه على معرفة الطريق ، والا فليترك حدة عينه الداخلية بالنسك ، فترى سائر الطرق سهلة ممهدة .

٥٨ - حتى متى تفتش عن دليل ليفتح في جدار قلبك نافذة تجاه الملكوت ؟  
نقِ مرآة عقلك من الادناس فَتُرِيكَ أشكال الملكتين والسبل المؤدية الى السماء وهي أيضاً توصلك الى الله .



٥٩ - طالما لا يتمكن العطشان من الذهاب الى ينبوع الماء ، لا يستطيع المرشد ان يوصله اليه ، أو يحمله الى هناك . بل يريه كيفية الرحيل ونوع السلوك فقط .

٦٠ - كما ان السفينة المثقوبة لا تنفعها الريح مهما كانت هذه الريح ملائمة ، هكذا القلب الذي تدخله الشهوات لا يجديه الدليل نفعاً ، مهما كان هذا من ذوي الدرجات السامقة .

٦١ - ان الجرة التي رأسها مائل نحو الأرض لا يمكن ان يخزن فيها ماء . والنفس المتجهة بافكارها نحو الدنيويات ، لن تثبت الموهبة السماوية فيها .  
٦٢ - ان من يرغب التشبه بانقياء القلوب ، ينفعه كثيراً الانهماك بخدمتهم . وأنقياء القلوب هؤلاء ، هم الذين طهروا إنسانهم الباطني من كل اثم ، ونالوا سائر المواهب الصالحة والتامة النازلة من فوق من عند أبي الأنوار .

٦٣ - انه لسعيد ومستحق الطوبى ذلك الذي قد عثر على خير اشرق شعاع شمسه على قيس مصباحه ، وتلاشى نوره بنور ربه ، ومات <sup>عن</sup> العالم ليحيا بالله .





٦٤ - ان الحياة الحقيقية هي التي يرضع الكاملون لبنها من ثدي العناية  
( الالهية ) جل شأنها مباشرة ، وليس لمعلمي الناموس ، ولا لكتبهم ، فيها سوى  
الاسم والصورة .

٦٥ - لولا ان الرب أعاني ، وردني من ضلال مختلف العلوم ، وانواع  
الفنون ، في تلك السنين السبع ، الى التأمل في كتب العارفين ، لتلبستي العادات  
الرديئة ، تلك التي اراها تلازم الكثيرين .

٦٦ - لعلك تسأل ، هل هنالك علامة فارقة تميز ما بين العارف الحقيقي  
من المرائي المضل ؟ أجيبك قائلاً : نعم ان العلامات كثيرة ، ولكنها تبدو بادية  
بده غامضة ، ومع مرور الزمن تبدو أخيراً ظاهرة للنظر .

٦٧ - من لم يذوق شيئاً لا يعرف طعمه ، ومن لم يأكل شيئاً ، لا يشبع  
بمجرد حديث يصدر عن الأكل منه ، ومن لم يشرب ماء ، لا يرتوي بمجرد  
حديث عابر يلقيه من شربه . ومن لا يدخل التجربة لا تجده تجربة غيره نفعاً .







٦٨ - يرفض بعض المعلمين المتبحرين بعلوم الكتاب المقدس وتفسيره ، ان يتعلموا السير في طريق الملكوت على يد عارفين غير متضلعين بفنونهم ، بيد أن هؤلاء المعلمين لا يسلمون ، ولا يفقهون . كون معرفتهم ، وان كانوا متطلعين بها إن هي الا معرفة نقلية ، وأما معرفة العارفين ، وان كانوا بسطاء ، فهي معرفة اختيارية .

٦٩ - أيها العلماء الافاضل ، أقسم لكم بسيدي رب الارباب ، انكم ان لم ترجعوا وتصبروا كالأطفال مجردين عن كل دهاء وحيلة ، فانكم لن تعرفوا حتى الاتجاه الصحيح للملكوت ، فكيف إذن تسعون الى الرحيل في سبيله ، وترومون التقدم نحوه ؟ . سيحدث لكم والحالة هذه انكم ستبتعدون عنه ، في الوقت الذي تظنون انكم قد وصلتكم اليه .

٧٠ - اننا نعرف جوهر الجسد معرفة بسيطة ، وذلك عن طريق معرفة النفس الناطقة ، وحركتها للجسد مطيتها ، وهذان الأمران موجودان في الحيوانات غير الناطقة ايضاً . اما خلود النفس بعد فناء الجسد مطيتها فيثبته الفلاسفة بدقة علمهم من عدم هيوليه النفس (١) .

٧١ - النفس الناطقة قابلة لاكتساب العلوم الهيولية ، وليس لجسم هيولي قابلية لاكتساب ذلك ، لان العلوم الهيولية لا تتجزأ وكل جسم هيولي يتجزأ ، ومن المحال ان يحل غير المتجزئ بالاجسام المتجزئة .

---

(١) كل العناصر الجوهرية لهذه العبارة متضمنة في العبارة الاولى من هذا الباب ، وهي تلخيص لمبدأ ارسطوطاليس في النفس وهو : ان النفس ليست بجرم وانها لا تموت ولا تفسد ولا تفتنى ... فصارت في هذا البدن الخليط السائل الواقع تحت الكون والفساد .





٧٢ - لا نفس ناطقة هيوليّة ، وكل ما هو قابل للفساد هيولي ، فمن الضروري ان يكون فيه شيء كعنصر يفسد ، وشيء كالمادة يقبل فساد عنصره .

٧٣ - ان نستدل على وجود الخالق من مخلوقاته ، كما نستدل على وجود البناء من البنيان ، معرفة عامة وساذجة نجدها لدى عامة الناس ايضاً . واما في تعاليم الفلاسفة الدقيقة ، فتوجد معرفة خاصة عن طريقها يستدلون على وجود واجب الوجود من الوجود ، وذلك ان كان الوجود واجب الوجود فهذا هو المقصود وان كان يمكن الوجود ، فهو مفتقر الى من هو واجب الوجود ، اذن لا بد من وجود من هو واجب الوجود .

٧٤ - لدى العلماء معرفة اخرى افضل يحصل عليها بنقاء الافكار ، واضعاف الجسد ، واغلاق نوافذ الحواس ، وتحطيم القيود . فاذا ما استنار مخدع قلبهم بهذه المعرفة ، يتصور ملكوت الله فيه ، ويكون هذا الملكوت داخلهم ، وحينئذ لا يحتاجون الى ان يطلبوه في « هذا الجبل ، أو في اورشليم » .





- ٧٥ - العقل الذي يضطرم بمحبة سيده ، اذ آزاه (١) سرعان ماتنجذب اليه الاشعة ومتى اضيه توهج في طرفه عين كالمصباح الذي يستتير من المصباح المضاء وهو يطفأ .
- ٧٦ - فوق ، وتحت ، وامام ، ووراء ، كل هذه الظروف من خواص الاجسام ، ( التي تشغل حيزاً من الفراغ ، وتقع تحت احدى الحواس ) ، وليست هذه الظروف من خواص الارواح ( المجردة التي لا تشغل حيزاً ولا تقع تحت الحواس ) ، ولكن اذ قصرت الاسماء وسائر الكلمات ( عن التعبير ) لجأ المتكلم الى استعمالها مجازاً ( اضطراراً ) .
- ٧٧ - من يهتد بنور سراجيه يتمكن من الطواف في حندس (٢) الليل البهيم (٣) ، ويسير في الظلام وهو لا يعلم الى اين يمضي . ومن أخفى نور شمسه ضياء سراجيه ، فهو سائر في النهار ولا يعثر .
- ٧٨ - ما اسرع زوالك الزمن ، وأخف اوان هذا النور . ما اقصر نهاره ، وأقل ساعاته . وندر من يستحقه من الناس . اما انا ففي غمرة ظلمتي أبصرتة حول القطب كالشمس ابان السحر ، وكالبرق الخاطف .
- ٧٩ - ان شمسي لا تزال مثلي في برج الجدي ، وان كانت بعيدة عن الجدي نحو الجنوب . وحتى الآن لم تبلغ بدرجاتها قطبي ، فكم انا تائق مشتاق الى ان تشرق عليّ وتنفخني ولو نزرأ يسيراً من نور الجميل الحقيقي لكي لا اسجد بعد الآن لمن لا اعرفه بل اسجد بالروح والحق لمن اعرفه (٤) .

(١) آزاه حاذاه وداناه .

(٢) حندس الليل : ظلامه

(٣) البهيم : الاسود المظلم ، وليل بهيم لفة لا ضوء فيه حتى الصباح

(٤) قول المؤلف هذا تضمنين لقول السيد المسيح للمرأة السامرية :

« انتم تسجدون لما لستم تعلمون ، اما نحن فنسجد لما نعلم » ( يوحنا : ٤ : ٢٢-٢٤ )







٨٠ - حدثني أحد العارفين الطوباويين قال : عندما كنت مبتدئاً تراءى أمامي النور الذي يستحيل الدنو إليه ، فارتعشت مفاصلي ، وسها عني العقل ، وبت أشابه من ركب فحلاً هائجاً يجري بأقصى طاقته ، ولا يعلم ( راكمه ) ما اذا كان يطير في الفضاء بالجسد ، أم انه يحلق دونه . ولكن متى هدا الفحل من هيجانه ، رجع اليّ عقلي ، وثاب اليّ رشدي ، وأخذ لساني يلجلج ويقول : لقد صار ما صار ، ولا اقول ما صار ، أما أنت فانصت اليّ ولا تنبس بينت شفة ، ولا تسألني تفسيراً وايضاحاً ( وكفى ) !! (١) .

٨١ - وحدثني هذا العارف نفسه أيضاً قائلاً : عندما اشتد حيلي ازداد ، في داخلي لهيب محبتي لسيدي . المحبة التي كم من مرة حالت دون اتمام خدمتي ، انما كنت أسقط على وجهي أرضاً ، وأشابه الأموات ، ويكاد جسدي يحترق وتهداتي تتزايد ، وقلبي يناجيني قائلاً : وحتام هذا البكاء . ومجاهدة النفس حتامه ؟ ! وماذا ينفع ذكر المحبوب اذا كان المحب حيس قفص الفراق ؟ .

---

(١) هذه العبارات ذكرها الغزالي في كتابه ( المنقذ من الضلال ) ص ٤٢ حيث

يقول :

وكان ما كان مما لست اذكره      فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر



٨٢ - وقال أيضاً : لما بلغتُ أشُدِّي ، خرج أمر من الملك العظيم الذي سلطانه خالدٌ ، وملكه لا يزول الى دهر الدهور ، أصدر أمره واذن لي بالدخول اليه ، وحالاً كسّر العقل ، الشبيه بالنسر ، القفص كالمعتوه ، وحلّق الى عشه القديم . ووقف امام ملك الملوك ، واله الالهة . ورب الأرباب ، وحظي لديه بدالة تامة .

٨٣ - أحذر لئلا يُضلك صباحك ، فتظن ان بإمكانك ان تفهم هذه المعاني بهذه الكلمات ، لا يا أخي ، ان كنت تهتم بالاطلاع على الأسرار الخفية ، أبغض العالمين « ودع الموتى يدفنون موتاهم » (١) ، وأطلب الحي السرمدي وحده ، واذا ما تعبت في طلبه الى الأبد فستحيا الى أبد الابدین .

٨٤ - الادنياء يرغبون في هذا العالم ، والفضلاء يطلبون العالم الآتي ، أما الأعلون فيطلبون ربهم نفسه ، لا بغية منفعة لهم ، أعني يتغونه حباً به ، لا بخيراته ، ولن يفصلهم عن حبه شيء ، لا الامور الحاضرة ، ولا المستقبلية ، ولا خليقة أخرى (٢) ، وكلما ازداد هيامهم بجماله ازداد تلهفهم اليه .

---

(١) انجيل متى ( ٨ : ٢٢ )

(٢) رسالة الرسول بولس الى أهل رومية ( ٨ : ٣٨ )





٨٥ - تطلب النفس النقية مكانها الأول ، وترجع اليه في الطريق القُرْبى  
المستقيمة . أما سر اجتياز الصديقين جسر النار ، فذلك لان النار خاصةٌ هي  
ان تشب الى فوق عمودياً دون ما اعوجاجٍ .

٨٦ - العقل غير الميب ، عندما يسير في الطريق ، يرتل قائلاً : أرني  
طريقك لاسلك فيها ، وفي سبلك أحيني ، وحين يصل الى نهاية الطريق يطلب من  
ربه قائلاً : احفظني كحدقة العين وبطل جناحك استرني ، أمام الأشداء باجسامهم  
والخطاة الذين نهبوني ومن الشهوات الرديئة عدوة نفسي التي اكتفتني (١) .

٨٧ - تكون رؤية العين أحياناً صحيحة ، مثلما ترى البحر أعظم من  
الغدير ، وأحياناً خاطئة مخدوعة مثلما ترى الشمس كالتُرْس والنجم كالدرهم وذلك  
لان العين لا تتمكن من رؤية الأشياء البعيدة بوضوح كرؤيتها الاشياء القريبة .

٨٨ - كذلك معرفة العقل تكون أحياناً صحيحة ، كمعرفته ان الله واحد ،  
وهو واجب الوجود ، وخالق أزلي ، وتكون أحياناً خاطئة مثال ذلك القول الذي  
نصه : ان العقل عندما يتحرر من عبودية الجسد يرى الله العلي المسجود له كما هو .

---

(١) تضمين المزمور ( ١٤٣ : ٨ - ١٢ )







٨٩ - كما ان الخفاش لا يرى الشمس أبداً ، أما الانسان وان شاهد نورها بحسّه البصريّ ، فلا يراها كما هي ، وهكذا أيضاً المتأمل في الالهيات ، إنما يسمع عن العليّ سمعاً ، ولكنه لا يراه والعارف يرى جزءاً من أمجاد العليّ غير المحدودة لا كلها .

٩٠ - تعود ان تصدّق كل ما تسمعه من انسان صادق بكلامه ، ولا تبحث عن أصل الكلام بالمقايسة ، وان كنت لا تعرف حقيقته . وبهذا الأمر يكون الايمان صالحاً ( لانه يبطل فعل ) السموم ، وذلك بوساطة الفارقليط روح الحق الذي يحل عليك ، ويرشدك الى الحق ، ويذكرك بكل الأمور ويعلمك أياها .

٩١ - تصير قيامة الاجساد باتحادها ثانية بالارواح ، وتصير قيامة النفس بتحررها من اتحادها بالجسد . وهذه الاخيرة مثل الأولى أيضاً حيث تحدث بعد ضيق كثير ، فالشمس والقمر يظلمان بمثابة العينين والكواكب تتساقط من السماء أي الحواس من الرأس ، وتضطرب القوى المحركة للجسد .



وتنوح جميع القبائل أي أعضاء الجسد ، والنفس الطاهرة التي نهضت من سقطتها تهتدي بنور علامة ابن الله الى المخدع الموعود به لها في السماء .

٩٢ - يعرف اختلاف نفوس الفرس والثور والقرد والانسان من اختلاف اجسادها ، ويعلم العارف المنزل الذي تستحقه كل نفس بشرية وذلك من حركاتها ، ويميّز بين من يكون منزلها في قدس الاقداس الداخلي ، وبين من يكون مخدعها بعيداً عن السحابة ، ويعرف التي ستكون في الوسط أو في المؤخرة . والتي ستكون حقيرة وعديمة النور كلياً ، في الاماكن التي لا يفتقدها الرب مع المرذولين تشقى .

٩٣ - بعد جهد النفس والجسد معاً ، اذا نلت البساطة الغريزية كما نالها سمعان ، أو حتى شبه الغريزية ، فاعلم ان قد مضى ليلك ، وانتهى نحيك ، وجاء أوان السحر ، ودنا صباحك ، فيرسل اليك ربك نوراً وايماناً ، ويعزبك بظهوراته .

٩٤ - في كل ما ذكرته سابقاً واذكره الآن وساذكره فيما بعد : لا أحتقر المعرفة العقلية .





وكيف أقدم على هذا ( الامر المنكر ) وأنا أرى الملافة المسيحيين ،  
والفلاسفة الوثنيين ، بقيودهم العقلية توصلوا الى ذروة العلوم التجيية . ولكنني  
عندما أرى بعضهم يزنون كل شيء بميزانهم ، لا يروق لي افتخارهم . وان ميزانهم  
- ولئن كانت ميزان عدل واستقامة - لا تسع أكثر أخبار العالم الآتي ، ولا تحيط  
علماً بتلك الأخبار التي ربما يرى جزء منها بعين الوحي .

٩٥ - اذا ما أرحت عقلك من درس الابحاث العويصة المقترنة بالتعقيدات  
القياسية ، والتزمت حياة الهدوء والصمت مع ممارسة أعمال الاستقامة . فاصطبر  
ولا تمل ( الدأب ) في سيرك ، لعل شمسك تشرق ، ومساءك يضيء ، ويكشف  
لك عن جمالك ويحركك من عبودية الزمان والمكان .

٩٦ - عندما تشرق شمس المحبوب على المحب في يوم لا يمكن وصفه ،  
فيرى العروس السليمانية (١) بجلال تظهر سافرة وتُدخل مجبها الى خدرها ذي  
الاعمدة السبعة معلنة اياه محبوب الجميع ، جاعلة الجوارح والوحوش داجنة اذ  
تستنشق منه رائحة خالقها ، وحتى العناصر العديمة الحس تحس به أيضاً ،  
والابالسة تطيعه ، والملائكة تخدمه (٢) .

---

(١) العروس بمثابة الكنيسة ، والفكرة مستمدة من سفر نشيد الانشاد أحداسفار  
العهد القديم ، وحيث ان كاتب هذه السفر هو سليمان لذلك سميت الكنيسة العروس  
السليمانية . أما عريسها فهو المسيح ، ومحبته لها رمز الى محبته لشعبه .

(٢) هذا يضا هي ما ذكره ابن عطا الله ( ٢ : ٦٨ ) حيث يقول : « انت مع الاكوان  
مالم تشهد المكوّن فاذا شهدته كانت الاكوان معك . » ويتابع قوله : « وعن المزين الكبير  
قال كنت مع ابراهيم الخواصر في بعض أسفاره فاذا عقرب تسمى على فخذة فقمت  
لأقتلها فممني وقال ، دعها كل شيء مفتقر البنا ولسنا مفتقرين الى شيء » .







٩٧ - اذا ما وصل الانسان المغبوط الى هذا الميناء ، لا يشرب فيما بعد من ماء يجري من صخرة ، أو من بئر ، بل من الماء الذي يعطيه اياه الرب ، ولا يعطش ابداً ، بل يجري من بطنه معين مياه تنبع لحياة ابدية .

٩٨ - هذه الفصول انما تفيد من كان خبيراً بمعرفة الامور الالهية والبشرية معاً ، وهو يتوق أن يرى عن طريق الاعلانات ، كل ما فهمه بالعلم ولكن من ليس له هذه الرغبة فليضاعف دراسته لهذا الكتاب لا بالقراءة المضطربة ( المشوشة ) بل عن ادراك وانتباه .

٩٩ - ان الاسباب التي تضعف محبة الجميل ، كثيراً جداً . وأن قوتي لا تقيّض لي ، ووقتي لا يسعني ، لأعددها جميعاً ، لأن كثرة الكلام ، قد اضعفني من مدة طويلة ، ومال قلبي الى ما يعود عليّ بالخير ، فمن استطاع ان يثبت في ميدان جهاد المحبة ، فليثبت ، ومن لا يتمكن من ذلك ، فليصنع طعامه بحسب طاقته ، وليعد رجله على قدر بساطه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالَّذِي جَعَلَ مِنَ  
النَّارِ سِرًّا وَالَّذِي  
جَعَلَ مِنَ الْحَدِيدِ  
سَلًا وَهُوَ الْغَنِيُّ  
الْعَلِيمُ  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالَّذِي جَعَلَ مِنَ  
النَّارِ سِرًّا وَالَّذِي  
جَعَلَ مِنَ الْحَدِيدِ  
سَلًا وَهُوَ الْغَنِيُّ  
الْعَلِيمُ

١٠٠ - هذا الزرع اليسير وان كان صغيراً مثل حبة الخردل فانه سينمو ويصير مثل شجرة عظيمة اذا لم يقع على قارعة الطريق ، او على صخر ، او بين الشوك ، بل سقط في الارض الجيدة ، ومتى نما ستأتي طيور السماء التي ترمز الى الاجناد السماوية ، وتعمش في اغصانها ، ومع هذا كله فلا يستطيع احد ان يأخذ شيئاً من عندياته ما لم يُعط له من السماء (١)

(١) تضمين لمثلي حبة الخردل والزارع والزرع ( انظر انجيل متى ١٣ : ١ - ٢٣ )

(٢) انجيل يوحنا ( ٢٧ : ٣ )





## تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٢	ينحدر	يتحدر
٦	٨	فترهب	فترهب
٧	٣	كان	كان
٩	٥	المتوفى	المتوفى
٩	٧	فانتزع	فانتزع
١١	٣	للمحتمل	المحتمل
١١	١٨	يقتدي	يقتدى
١٢	١٢	هل	اهل
١٢	٢٣	عشر	عشرة
١٣	١٩	الشنيع	التشنيع
١٤	١٦	ايليس	ابليس
١٥	١٥	العارفون نشر	العارفون عن نشر
١٦	٦	للناطقين	للناطقين
١٧	٣	يته في مهمة	يته في مهمة
١٧	١٩	(١) الحماسة - القول (٦٨)	(١) احياء علوم الدين
١٨	٢٢	التسير	التسير
١٩	٨	يالوا	يالو
١٩	١٥	ليست	ليستا
٢٣	١	لضرورة	بالضرورة
٢٣	٢٠	(٣) فيه	— تحذف
٢٤	٢١	(١) الايثيقون	(١) الحماسة القول (٦٨)
٢٦	١٧	«...»	«...» (٦)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦	١٨	(٢)	(١)
٢٦	٢١	(٢)	(٤)
٢٦	٢٢	(٤)	(٥)
٢٦	٢٣	(٥)	(٦)
٢٧	١٣	فجاه	فجاهه
٢٧	١٥	ير	يره
٣١	١	تخفي	تخفي
٣٢	١٣	عموسا	عموساً
٣٢	١٥	بالصليب	إلى الصليب
٣٤	٢٠	(٣)	(١)
٣٤	٢١	—	(٢) الايثيقون م ا ب ٣ ف ٤
٣٥	١٣	شفتيه	شفتيه
٣٥	٢١	(١) الايثيقون المقالة ...	تحذف
٣٥	٢٢	(٢)	(١)
٣٦	٢٠	برهة	هنيهة
٣٨	٥	لما	حين
٣٨	١٢	يلاحظ	يلاحظه
٣٩	٧	اقيم مقام	اقيم في مقام
٤٠	١٤	تضحى	تضحى
٤٠	١٧	ونادراً	ونادراً ما
٥١	٥	يضحون بخسارة	يضحون فيقدمون خسارة
٥٩	١٢	ذي	هي
٦٥	١١	عشرات	غترات
٧٧	٢	السجادة	السداجة



الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٧	٣	تجاسري من	تجاسري على
٩٣	١٢	قد أخزي	« قد أخزي
٩٥	٦	أغشى	أعشى
١٠٥	١	هي	وهي
١٠٥	٦	حيث ان الاغفاءة	حيث ان هذه الاغفاءة
١٠٥	٧	أو تزيل	وتزيل
١١٥	٧	لكنها تسهل	لتسهلن
١١٩	١٠	لهم عدم	لهم بعدم
١٢١	١١	يقم	يقيم
١٤٣	٣	باكتسابه	باكتسابه
١٥١	٤	عديد	عديدة
١٥١	١٣	التي	هي التي
١٥١	١٣	الى الفرع	للفرع
١٥٣	١	ذكرنا	وقد ذكرنا
١٥٥	٥	نقبة	نقبة
١٦٣	٧	لايتكل	أنه لايتكل
١٦٥	٩	ارسائوس	ارسانيوس
١٦٩	٦	اما	واما
١٧٣	٤	يستوي	ثم يستوي
١٧٥	٥	برمة	هنية
١٧٧	٤	اخفائها	على اخفائها
١٧٧	٨	والودود	الودود
١٧٩	٥	ماهيه	ماهية
١٧٩	١٣	يجب	يجب
١٨٣	٥	المحسوبة	المحسومة

الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر
ضلاً	ضلّ	١٨٥	٢
المحبة	والمحبة	٨٥	٦
عبادا	اعباد	١٨٥	١٥
كتابه	كتابة	١٩١	٢٢
السطور الثلاثة الاولى هي تامة		١٩٣	١ و ٢ و ٣
الحاشية (٤) من صفحة ١٩١			
فبقراءة	فبقراءة	١٩٣	٨
تمحي	تمحا	١٩٣	١٢
السرافيم	الرافيم	١٩٥	٥
خالية	خلوة	٢٠٥	١٠
كروبييه	كروية	٢٠٩	٧
قوتنا	قوتنا	٢١١	١١
فما	فيما	٢١٣	١٣
تدرك	ندرك	٢١٥	١
عندما	لما	٢١٥	٧
باهل	أهل	٢١٥	٨
يته	يتيه	٢١٥	١٠
تمط	تعطي	٢١٧	١
تجذبه	تجذبه	٢١٩	٤
البهيمية	البهينة	٢١٩	١٠
واحداً	واحد	٢٢١	٥
الشرائع	الشرايع	٢٢٣	٦
ذهنه	دهنه	٢٢٧	٢
أجيك	أجيك	٢٣٧	٨
وتصيروا	وتصبروا	٢٣٩	٧
هيولة	هيوله	٢٣٩	١٤

## فهرست الكتاب

صفحة		
٥		تمهيد
٩	المقتبسة عن ونسك	المقدمة
٤٣		مقدمة الكتاب
٤٩	العمل الجسدي في دار المبتدئين	الباب الاول
٤٩	ابتماد الانسان عن العالم	الفصل الاول
٥١	التوبة	الفصل الثاني
٥٣	الزهد	الفصل الثالث
٥٧	التواضع	الفصل الرابع
٥٩	الصبر	الفصل الخامس
٦٣	محبة الاخوة	الفصل السادس
٦٥	عثرات اللسان	الفصل السابع
٧٧	ارتداد المبتدي	الفصل الثامن
٨١	تقويم سيرة المبتدي	الفصل التاسع
٨٧	علامات الاستقامة	الفصل العاشر
٨٩	إتمام السيرة الروحية في الصومعة	الباب الثاني
٨٩	واجبات الصومعة	الفصل الاول
٩٣	العزلة	الفصل الثاني
٩٧	النسك بانواعه الاربعة	الفصل الثالث
١٠١	الصلاة وتقسيم اوقاتها	الفصل الرابع
١٠٧	الترتيل والسهر	الفصل الخامس
١١٣	الصوم	الفصل السادس



١١٧	عمل الـدين	الفصل السابع
١٢١	الغربة	الفصل الثامن
١٢٧	الاهواء الرديئة	الفصل التاسع
١٥١	السجايا الحميدة	الفصل العاشر
١٦٧	راحة الكاملين الروحانية	الباب الثالث
١٦٧	مبدأ حركات الكمال	الفصل الاول
١٧١	حركات الكمال المتوسطة	الفصل الثاني
١٧٣	حركات الكمال التامة	الفصل الثالث
١٧٥	اتحاد العقل	الفصل الرابع
١٧٩	اسباب المحبة	الفصل الخامس
١٨٣	لذة المعرفة	الفصل السادس
١٨٥	إنماء المحبة لله	الفصل السابع
١٨٩	معرفة الله	الفصل الثامن
١٩١	التفخيرات التي تحدث للكاملين	الفصل التاسع
١٩٧	سقوط الكاملين	الفصل العاشر
٢٠١	قصة تدرج المؤلف بالعلوم تليها اقوال الهامية	الباب الرابع

مطبعة الأديب البغدادية - هاتف ٨١٢٣٢

١٩٧٥\_٥\_٢٢/١٠٠٠/٥

مسجل برقم ايداع ١٧١ لسنة ١٩٧٥

SYRIAC ACADEMY PUBLICATIONS  
BAGHDAD - IRAQ



BAR HEBRAEUS'S  
**BOOK OF THE DOVE**

TRANSLATED  
FROM SYRIAC INTO ARABIC

BY  
**Zakka Iwas**

SYRIAN ORTHODOX ARCHBISHOP OF BAGHDAD  
AND VICE-PRESIDENT OF THE SYRIAC ACADEMY

BAGHDAD  
1975







# الحكاممة

مأخوذ من

الحكاممة في حكام

حقيقه وعربيه  
المطران زكا عيواص

احسنه الامنا من ما  
مؤلفه ام حمان

تأليف العلامة ابن العبري (١٢٨٦+)